

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار ثليجي - الأغواط -



كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

فرع الفلسفة

الموضوع

فك الاستشراق عند

إدوارد سعيد

مذكرة نهاية الدراسة للتخرج ماستر فلسفة الحضارة

إشراف:

أ.د. نونسي محمد

إعداد الطالب:

شيخاوي جمال الدين

السنة الجامعية 2016/2015

قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ

عُلُوقًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِسَادًا ^ع وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنْقِينَ ﴿٨٣﴾

القصص: ٨٣

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

الوالدين الكرمين أطال الله في عمرهما و أدامهما ذخرا لي

وإلى أخي أختائي وإلى زوجتي الغالية

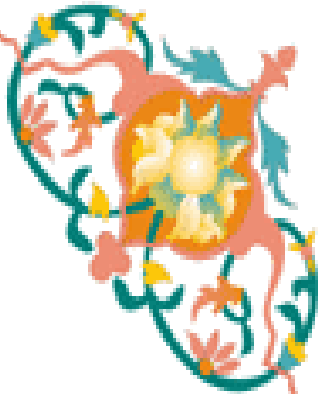
وإلى زملائي في القسم وأصدقائي في الإقامة أجمعيت كل باسمه

وإلى كل من ساهم في إنجاز هذا البحث من بعيد أو قريب.

جمال

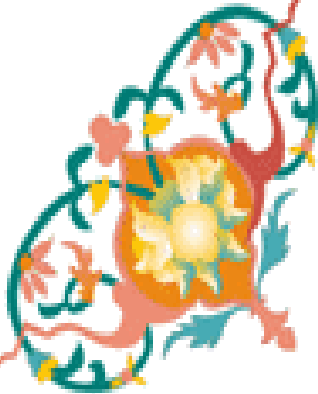
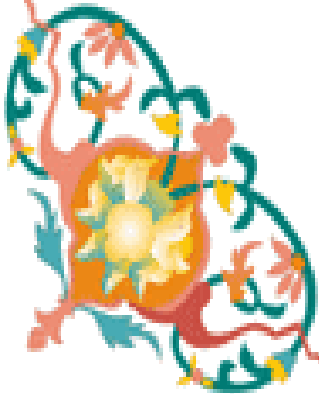
شكر وعرفان

أولا وقبل كل شيء نحمد الله عز وجل الذي منحنا الصحة
والعافية من أجل إنجاز هذا البحث، كما أتقدم بالشكر الجليل
والثناء أجميل إلى أستاذي الكريم المشرف على هذه المذكرة
"تونسبي محمد"، على ما أبداه من تعامل طيب ورعاية علمية
جادة، وعلى ما أسداه لي من نصائح وما قدم لي من إرشادات
استفدت منها لإتمام هذا العمل فجزاه الله عنّي خير أجراء.
كما نشكر كل من أعان وساعد وساهم في سيرورة هذا العمل
أساتذة وزملاء دون استثناء على ما أسدوه لي من معرفت
علمية نافعة أثرت البحث.



فہرس

المحتویات



	اهداء
	كلمة شكر وعرفان
	فهرس المحتويات
	مقدمة
الفصل الأول : مدخل منهجي للدراسة	
5	إشكالية الدراسة
6	أهمية الدراسة
7	أهداف الدراسة
7	المفاهيم المفتاحية والأساسية للدراسة
15	المنهج المستعمل
15	أسباب اختيار الموضوع
16	الدراسات السابقة
16	الصعوبات التي واجهتنا خلال البحث
17	خطة البحث
الفصل الثاني : إدوارد سعيد، تكوينه، نظرتة للاستشراق	
19	تمهيد
20	التعريف بإدوارد سعيد
26	أثر تكوين إدوارد سعيد في تفكيك ثقافة الغرب
37	إعادة النظر في الاستشراق
41	خلاصة الفصل
الفصل الثالث: تطور الخطاب الاستشراقي	
43	تمهيد
44	رحلات الحج إلى الشرق والإقامة فيه ودراسته
49	الدراسات الأنثروبولوجية الكولونيلية
53	خلاصة الفصل
الفصل الرابع: تفكيك الخطاب الاستشراقي	
55	تمهيد
56	بنية الخطاب الاستشراقي

57	الاستشراق الكامن
58	الاستشراق الظاهر
60	أزمة الاستشراق عند الغرب
68	خلاصة الفصل
70	خاتمة
73	قائمة المراجع والمصادر

مقدمة

إن مما لا جدال فيه أن الاستشراق له أثر كبير في العالم الغربي وفي العالم العربي الإسلامي على السواء وإن اختلفت ردود الأفعال على كلا الجانبين؛ قائمة على افتراضات طبيعية وعرقية وجنسية تؤكد بشكل عام على استعلاء جماعة على جماعة أخرى، لكن بعد فترة الاستعمار ظهرت طرائق تفكير أخرى تتحدى بنية الاستشراق وتصطدم بها وتقدم تمثيلات جديدة لواقع المجتمعات الشرقية.

فظهرت العديد من المؤلفات والأعمال التي تردُّ على الاستشراق وموضوعه وإنتاجاته وهي كثيرة ومختلفة كل حسب مجاله. ككتاب "المستشرقون والقرآن" لإبراهيم عوض و"الاستشراق في السيرة النبوية" لـ عبد الله محمد الأمين النعيم لكن إدوارد سعيد -موضوع بحثنا- خرج بشكل مغاير عن غيره في نقد الاستشراق ففي سنة 1978 صدر كتاب الاستشراق لإدوارد سعيد والمترجم إلى العديد من اللغات العالمية، الذي يبرز بوصفه أحد المنتجات الفكرية البالغة الأهمية فهو لا ينصب على نقد مواضيع الاستشراق المختلفة والتي يستحيل على أي شخص أن يجملها في كتاب واحدة بل كان اهتمامه على نقد الاستشراق في حد ذاته حيث تصدى بالبحث والتحليل والشرح والتفسير للمواقف المختلفة للغرب تجاه الشرق بعامة، والثقافة العربية والإسلامية بخاصة، إذ يعتبر إدوارد سعيد الاستشراق أسلوباً للتفكير المستند إلى التمييز الوجودي والمعرفي بين الشرق والغرب. والفكرة المحورية يدور حولها نقد إدوارد سعيد للاستشراق هي فهم وتحليل وتفكيك هذه البنية الممثلة عن الشرق من قبل الغرب كما يركز جهده على فهم الأسلوب الذي قاد الثقافة الغربي إلى تدبر الشرق وإنتاجه بهذا الشكل والبرهنة على أن أعمالها ليست أعمال موضوعية.

ومن أجل عرض الآراء النقدية لإدوارد سعيد ارتسمنا له خطة كانت كالتالي: أربعة فصول ، فصل تمثل في الإطار المنهجي للدراسة وكانت أهم العناصر التي احتواها هذا الفصل هي الإشكالية العامة للدراسة والمفاهيم المفتاحية والأساسية للدراسة حيث تم ضبط مفهوم "الخطاب" ومفهوم "الاستشراق" وضبط مفهوم "الخطاب الاستشراقي" باعتباره المفهوم الأكثر وروداً واستعمالاً في البحث أما الفصل الأول فقد عرضنا عبره تعريف لإدوارد سعيد وتكوينه الذي

ساهم في إعطاءه القدرة على توجيه نظرة جديدة للاستشراق، أما الفصل الثاني الذي وسمناه تطور الخطاب الاستشراقي عند إدوارد سعيد وقد شمل مبحثين الأول رحلات الحج إلى الشرق والاقامة فيه ودراسته حيث عنيناه بعرض لطبيعة التعرف على الشرق المتعلق بالرحالة والحجاج الغربيين أما المبحث الثاني خصصناه لوصف الدراسات الأنثروبولوجية الكولونيالية التي تراكمت مع الاستعمار الأوروبي لبلاد الشرق.

أما فيما يخص الفصل الثالث الذي كان تحت عنوان تفكيك الخطاب الاستشراقي عند إدوارد سعيد حيث عرضنا من خلال المبحث الأول بنية الخطاب الاستشراقي بوصفها على قائمة تميز وجودي وجغرافي... والمبحث الثاني فقد ركزنا جهدنا فيه على توضيح الأزمة التي وصل إليها الاستشراق على حد رأي إدوارد سعيد دائما.

❖ الفصل الأول مدخل

منهجي للدراسة

الفصل الأول : مدخل منهجي للدراسة

1) إشكالية الدراسة:

يرى إدوارد سعيد أن العلاقة بين الغرب والشرق، هي علاقة يمكن تتويجها بمفهوم القوة والسيطرة؛ بصورة معقدة ومتشابكة؛ وفق المعطيات التاريخية. وعليه، فهو يؤكد أن الاستشراق ليس عنصرا من عناصر الثقافة السياسية الحديثة، بقدر ما هو العنصر الأوحد فيها. هذا المنحى كما بدا لنا، هو الذي دفع إدوارد سعيد إلى التعمق والتفكير بالاستشراق بوصفه حالة حيوية بين الافراد، كالمؤلفين والمؤسسات السياسية التي كانت نتاج الغرب المتصف بالإمبريالية والاستعمار والهيمنة هو حسب سعيد الذي أنتج الاستشراق بصورته الحرفية التي تحددت بحدوده الفكرية.

وقد سعينا من خلال بحثنا هذا أن نقرب من المشروع النقدي لإدوارد سعيد ونحلل عناصره المكونة وأن نبين كيف أفضت كل محطة من محطاته إلى الأخرى، وأن نبين الكيفية التي من خلالها تجاوز المنظور الضيق في التعامل مع النصوص الانسانية الى منظور أفسح و أرحب بتزييلها وسياقاتها التاريخية والثقافية، في نقده السرديات الغربية محاولا كشف خبايا الخطاب المعرفي غير المنفصل عن السياق التاريخي والثقافي الذي أنتجه، وكيفية ارتباط الجمالي بالتاريخي الثقافي؛ وكيفية امتزاج الخطاب الغربي حول الآخر بعناصر القوة والسلطة، وسنعمد إلى توضيح الكيفية التي انفتح بها إدوارد سعيد عبر النقد الأدبي على عوالم جديدة، بكسره للحواجز بين الحقول الكتابية، مؤسسا معرفة أدبية وفلسفية شديدة الاتساع تتم عن ميل إلى معرفة مركبة ساهم فيه تكوينه، وأن نسلط الضوء على فكره الإنساني المناضل والمقاوم من أجل البحث عن فضاء إنساني هجين تستعاد فيه السرديات أو القصص الصغرى للمهمشين والمغلوبين وتعايش وتكتب عبره تواريحهم وتفعل ثقافتهم، وذلك بإيجاد السبل والطرق الإنسانية الكفيلة بذلك.

الفصل الأول : **مدخل منهجي للدراسة**

وفي إطار مقاربتنا للمشروع النقدي لإدوارد سعيد حاولن أن نجيب عن الإشكالية التالية:

كيف حاول إدوارد سعيد كشف مضمرة الخطاب الاستشراقي حول الآخر الشرقي، وكيف

شخص بنية الخطاب الاستشراقي وكشفه لتداخل الثقافي والأدبي بالسياسي والسلطوي؟

وهذا ما دفعنا إلى طرح التساؤلات الفرعية التالية:

- من هو ادوارد سعيد؟ وما أثر تكوينه في تكوين ثقافة الغرب؟
- ما هو الوجه الآخر للإستشراق؟ وكيف كان شكله قبل الاستعمار وإبان الاستعمار؟
- ما هي بنية الخطاب الاستشراقي؟ وما الذي يدفع الغربي لإنتاج خطاب بهذا الشكل عن الشرق؟

- ماهي أزمة الاستشراق؟

2) أهمية الدراسة:

تبرز أهمية الدراسة الحالية في ثلة من المجالات التي يمكن توضيحها على النحو التالي :

- التوصل إلى نتائج من شأنها إثراء التراث النظري في هذا المجال .
- الاستفادة من هذه الدراسة واستخدامها كدراسة سابقة.
- المساعدة في طرح إشكالية جديدة تساعد في دراسة الموضوع أكثر والتعمق فيه.
- إلقاء الضوء على أهمية الخطاب الاستشراقي .
- قد تساهم هذه الدراسة في فتح آفاق جديدة أمام الدارسين والباحثين.

الفصل الأول : مدخل منهجي للدراسة

3 أهداف الدراسة :

مما لا يختلف عليه اثنان أن ما يقوم به الفرد من عمل أو نشاط أو بحث أو اكتشاف له غاية أو هدف حجة وإن تعددت أو اختلفت الأساليب والوسائل المتبعة فإن الأهداف تكون مسطرة ومخططة منذ البداية ومن أهداف بحثنا ما يلي :

- التعرف على محاولة ادوارد سعيد في كشف مضمرات الخطاب الغربي حول الآخر وإظهاره مشبعا بعناصر القوة والسلطة وكشفه لتداخل الثقافي والأدبي والجمالي والسياسي والسلطوي.
- معرفة فكر ادوارد سعيد .
- التعرف على أثر تكوين ادوارد سعيد في تكوين ثقافة الغرب .
- التعرف على الوجه الآخر للإستشراق الذي كشف عنه ادوارد سعيد .
- التعرف على التطور التاريخي للإستشراق والتباين الذي طرأ عليه إبان الاستعمار وقبل الاستعمار حسب ادوارد سعيد .
- الكشف عن بنية الخطاب الاستشراقي والتعرف على الأزمة التي وصل إليها .
- لتصبح كإضافة دراسة إلى بقية الدراسات المتصلة بهذا الموضوع خاصة مع قلة الدراسات التي تناولت الخطاب الاستشراقي .
- ليكون الهدف العلمي مرجعا يرجع إليه الدارسون والباحثون.

4) المفاهيم المفتاحية والأساسية للدراسة :

لاشك أن لكل معرفة علمية خطابها الذي يدل على مفاهيمها ويرسم حدودها الفاصلة عن بقية الفروع العلمية والمعرفية الأخرى، ويوضح موضوعها ومجالاتها التطبيقية، وبهذا تكون المعرفة مفاهيم بالدرجة الأولى ومصطلحات، وبالتالي فإن المصطلح (المفهوم) يعتبر عنصرا أساسيا في أي بحث علمي وتحديد معنى المصطلح يعمل على تضيق مسافة الخلاف بين المتحاورين ويوفر كثيرا من الوقت والجهد ولا شك أن من أبرز المصطلحات التي نحاول ضبطها وهي "الخطاب"

الفصل الأول: مدخل منهجي للدراسة

والاستشراق" وإعطاء تعريف "للخطاب الاستشراقي" «التي تعتبر بمثابة مفاتيح لنقدم صورة أولية لما نحن مع إنجازها في هذا البحث.

1.4. ضبط مفهوم الخطاب:

أ/ في القرآن الكريم:

ذكر الفعل "خاطب" «مرتين في كل من صورتين "الفرقان" و "هود" وهو يقصد مجرد الكلام كقوله تعالى:

﴿ وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴾¹

ووردت الكلمة في صورة "ص" مع إضافة شيء جديد، وهو النفوذ والسلطة وذلك في قوله تعالى:

﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴾²

ب/ في اللغة العربية: يقال خطب فلان إلى فلان فخطبه وأخطبه أي أجابه، والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبتا وخطابا وهما يتخاطبان³.

ج/ في اللغة الأجنبية: Discours

لدى لالاند: فإن الخطاب يعني:

«عملية فكرية تجري من خلال سلسلة عمليات أولية جزئية متتابعة، بنحو خاص تعبير عن الفكر وتطور له سلسلة كلمات أو عبارات متسلسلة»⁴.

¹ سورة هود، الآية 38

² سورة ص، الآية 20

³ ابن منظور: لسان العرب، المجلد الأول، دط، بيروت، داربيروت والنشر والتوزيع، 1968، ص 130

⁴ لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل وأحمد عويدات، المجلد الأول، دط، منشورات عويدات: بيروت، 2001، ص 287

الفصل الأول : مدخل منهجي للدراسة

د/ في الاصطلاح:

فهو كلام أو رسالة سواء أكان نصيا مكتوبا، أو كلاما منطوقا، وهو رسالة تنطوي على هدف ودلالة، فلا يعد الخطاب قولاً أو كلاماً مرسلًا، وإنما هو كلام له نظامه الخاص، وغير منفصل عن السياق التاريخي الذي يظهر فيه.¹

فالباحث التونسي "المختار الفجاري" قد قدم محاولة تأصيلية لمصطلح الخطاب، وذلك في دراسته: "تأصيل الخطاب في الثقافة العربية" حيث رجع في هذا التأصيل إلى القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ولسان العرب لابن المنظور، وتوصل الباحث إلى استخلاص أهم معاني كلمة الخطاب.²

1. الشأن والغرض والدلالة على ذلك في هذه المادة يختص بالمصدر المشتق منها(خطب) بسكون الطاء، والخطب تردد في القرآن الكريم خمسة مرات موزعة على خمس سور، ففي سورة (يوسف)

يقول ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَأَوْتَنِّي يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَنَشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ

قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْكُنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَأَوْتُهُ عَنِ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِیْنَ ﴿٥١﴾ ³

وفي سورة القصص سأل موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين المرأتين اللتين وجدتهما تذودان عن

السقي فقال: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءٌ مَّدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ

دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ

كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ ⁴

¹ محمود أحمد محمد الرجبي، إتجاهات الخطاب الإسلامي في المواقع الإلكترونية الإخبارية، (رسالة لنيل شهادة الماجستير جامعة الشرق الأوسط، كلية الإعلام)، 2012، ص 13

² الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو، دط، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية: القاهرة، 2000، ص88

³ سورة يوسف، الآية 51

⁴ سورة القصص، الآية 23

الفصل الأول : مدخل منهجي للدراسة

2. كلام حامل لشأن أو غرض: والدلالة على ذلك في هذه المادة تشترك فيها الأفعال :
خطب وخطب والمصادر المشتقة منها، وهذا ما حددناه سابقا في لسان العرب وأيضا في القرآن
الكريم في سورة هود.

3. المعنى الثالث هذا يعني إنجاز الشأن والغرض، ففي حديث الحجاج : «من أهل المحاشد
والمخاطب ... أراد من الذين يخطبون الناس ويحثونهم على الخروج والاجتماع للفتن»، فللخطاب
إذا قدرة تعبويه وسلطوية مؤثرة على السامعين.¹

الخطاب لدى اللسانيين:

يشير لفظ الخطاب الكثير من اللبس فهو يمثل مكانه خارج الثنائيات المعروفة في الألسنة مثل اللغة
والكلام والنظام والعملية، فاللسانيون الأوائل لم يتحدثوا عن الخطاب أمثال "دي سوسير"
fernande de sassure (1857،1913)، "وهلمي سف" hemlself ، ويعتبر أول من
طرح مسألة الخطاب في الدراسات الألسنية وهو "بيوسنس" "buysens"، سنة 1943، إلا أن
النقطة الحقيقية لمسائل الخطاب نجدها عند "بنفست" 1902،1976 "benveniste"، الذي
تجاوز فيها الإطار الشكلي للألسنة البنيوية وذلك بطرحه لمسائل الوظيفة ودور الفاعل المتكلم في
العملية المنطوقية، وهو يرى أن الكلمة تشكل نقطة وصل في ميداني اللغة وهما: النظام الشكلي
القائم على العلامة والوحدة، والنظام التواصلية أو الخطابي القائم بين الوحدة والخطاب وهما معا
يشكلان نظام الدلالة في اللغة.²

وهذا يعني أن المصطلح الشائع لدى علماء الألسنية للتعبير عن الخطاب هو المتصل بالمستوى الدلالي
(حامل العلامة).

كما أن التمييز بين الخطاب والنص يتخذ أهمية كبيرة على ضوء الألسنية الحديثة ، باعتبار الأول
يعبر عن حالة شفوية أو مكتوبة ، بينما النص يطلق عادة على ما هو تسطير أو مكتوب وهو
مجموعة مترابطة من الجمل يضبطها مبدآن: مبدأ الوحدة ومبدأ الاتساق.

¹ الزواوي بغورة، مرجع سابق ، ص 88

² مرجع نفسه، ص 91 92

الفصل الأول: مدخل منهجي للدراسة

ولقد عرفه اللسانيون بأنه: يعد خطاب كل ملفوظ أو مكتوب، يشكل وحدة تواصلية قائمة الذات.¹

الخطاب عند الفلاسفة:

● عند سقراط (400 ق.م_470ق.م) "socrate"

نحصر الخطاب في حدود المعنى، وأصبحت مهمته تكمن في: (تلخيص المعنى مما هو ظني ونسي ومتغير، لأن طبيعته عقلية "لوغوس" فتكون إزاء حقل أو فضاء لا يقدم نفسه على أنه ثابت وكلي فحسب بقدر ما يقدم نفسه على أنه نقي و ذو معنى.²

● يعرف ميشال فوكو (1926-1984) "michel foucault" الخطاب بقوله: «مجموعة

من العبارات بوصفها تنتمي إلى ذات التشكيلة الخطابية، فهو ليس وحدة بلاغية أو صورة قابلة لأن تتكرر إلى مالا نهاية، يمكن الوقوف على ظهورها واستعمالها خلال التاريخ... بل هو عبارة عن عدد محصور من العبارات التي تستطيع تحديد شروط وجودها.»³

من خلال هذين التعريفين نستنتج:

أولاً: ارتباط الخطاب بالفلسفة والمنطق .

ثانياً: الخطاب عند "ميشال فوكو" هو عبارة عن مجموعة من المنطوقات وهي الوحدة الأولية للخطاب، أو هي ذرة الخطاب، وهذه المنطوقات تشكل في مجموعها خطاب، وعليه فالتشكيلة الخطابية نظام منطوقي عام.

¹ أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، (دراسة في الوظيفة والبيئة والنمط)، ط1، دارالعربية للعلوم ناشرون: بيروت: 2010، 24

² الزواوي بغورة: مرجع سابق، ص ص91 92

³ ميشال فوكو: حفريات المعرفة، ترجمة سالم يفوت، دط: الدار البيضاء، 1968، ص 8

الفصل الأول: مدخل منهجي للدراسة

2.4. ضبط مفهوم الاستشراق:

أ/ في اللغة العربية:

عند النظر إلى لفظة "استشراق" نجد أنها مصوغة على وزن "استفعال"، ولو وجدناها مأخوذة من كلمة شرق ثم أضيف إليها ثلاثة حروف هي الألف والسين والتاء، ومعناها طلب الشرق، وليس طلب الشرق سوى طلب علوم الشرق وآدابه ولغاته، وجاء في "معجم الوسيط" شرقت الشمس شرقا وشرقوا إذا طلعت.¹

وفي "لسان العرب" شرق: شرقت الشمس تشرق شروقا وشرقا طلعت واسم الموضع المشرق... والتشريق: الأخذ في ناحية المشرق، يقال شتان بين مشرق ومغرب، وشرقوا ذهبوا إلى الشرق، وكل ما طلع مع المشرق فقد شرق، وفي الحديث: ﴿لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو

غربوا²

ب/ في الاصطلاح: إن الإستشراق Orientalism يعني :

علم الشرق أو عالم الشرقي³، وعرف البعض الإستشراق بأنه: ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته⁴، وأحيانا يقصد به: أسلوب للتفكير يركز على التمييز المعرفي والعرفي بين الشرق، ومرة يراد به ذلك العلم الذي تناول المجتمعات الشرقية بالدراسة والتحليل من قبل علماء الغرب⁵.

ويرى "الطيب بن ابراهيم": أن الإستشراق لا يعتبر تاريخيا أو جغرافيا فقط، ولا إنسانيا أو ثقافة فحسب وإنما هو مجموع ذلك كله، فهو مكان وزمان وإنسان وثقافة، والحديث عن الإستشراق مرتبط ارتباطا عضويا وتكاملياً مع هذه العناصر الأربعة الأساسية، إذ لا بد له من مسافة زمنية ومساحة مكانية ونوع إنساني وإنتاج ثقافي وفكري⁶.

¹ المعجم الوسيط، ج1، مجمع اللغة العربية: القاهرة، 2004، ص 482.

² أبوهاجر محمد السعيد: موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف، دط، المجلد7، دار الكتب العلمية: بيروت، دت، ص130.

³ محمود حمدي زقزوق: الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دط، دار المعارف: القاهرة، 1997، ص18.

⁴ عبد الله الأمين، الإستشراق في السيرة النبوية، دط، دار المعارف: القاهرة، 1997، ص18.

⁵ ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الإستشراقي، ج1، دار المدار الإسلامي: بيروت، 2002، ص20.

⁶ الطيب بن ابراهيم: الإستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، دط، دار المنابع للنشر والتوزيع: الجزائر، 2004، ص6.

الفصل الأول : مدخل منهجي للدراسة

تعريف عبد الرحمان بن حنيكة الميداني:

هو تعبير أطلقه الغربيون على الدراسات المتعلقة بالشرقين؛ شعوبهم؛ تاريخهم؛ وأديانهم؛ ولغاتهم؛ وأوضاعهم الاجتماعية؛ وبلادهم؛ وأرضهم؛ وحضارتهم وكل مايتعلق بهم، وكان هدفهم الأساسي دراسة الإسلام والشعوب الإسلامية، لخدمة أغراض التبشير من جهة؛ وخدمة الاستعمار الغربي لبلاد المسلمين من جهة أخرى، واعداد الدراسات اللازمة لمحاربة الاسلام وتحطيم الأمة الإسلامية.¹

تعريف عمر فاروق فوزي:

هو علم يدرس لغات شعوب الشرق وتراثهم وحضارتهم و مجتمعاتهم وماضيهم وحضارتهم.²

تعريف إدوارد سعيد:

«هو نمط من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادك السيطرة عليه.»³ كما عرفه أيضا علة أنه أسلوب غربي للسيطرة على الشرق واستبناؤه وامتلاك السيادة عليه، وهو مؤسسة امبريالية، وأن جوهره هو التمييز الذي يستحيل اجتثاثه بين الفوقية الغربية والدونية الشرقية.⁴

¹ عبد الرحمان بن حنيكة الميداني: أجنحة المكر الثلاثة، ط8، دار القلم: دمشق، 2000، ص54.
² فاروق عمر فوزي: الإستشراق والتاريخ الإسلامي، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع: عمان، 1998، ص30
³ إدوارد سعيد: الإستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، ط7، مؤسسة الأبحاث العربية: بيروت، 2005، ص120
⁴ هيثم غالب الناهي: ما بين الإستشراق وما بعد الإستشراق، المنظمة العربية للترجمة.

3.4. ضبط مفهوم (الخطاب الاستشراقي) عند ادوارد سعيد.

لقد تأثر ادوارد سعيد حد المهرب من حتميته المتأتية مما يعتبره سعيد بأسا سياسيا لدى فوكو من فكرة مقاومة القوة الضابطة، فلا أحد ينفلت من قيود الخطاب إلا منه إليه، بل إن الخطاب حسب فوكو يمارس فهو إكراهيا حيث لا وجود لإمكانية إقامة صلات إلا عبره ومن خلال قواعده وأسلوب نظامه، والنتيجة الحتمية لذلك هو سيادة الخطاب الذي ليس في حقيقته إلا نوعا من العقاب المفروض بشكل منظم ومستمر،¹ والخطاب يستمد مشروعيته ومرجعيته من منطقته ونسقه الداخلي لا من الخارج أو بالمقارنة مع الخطابات والأنساق الأخرى.² وحسب المنظور الفوكوي فإن كل وعي هو خطاب هو تمثيل للحقيقة وليس الحقيقة ذاتها، ولهذا المنظور لا وجود لمعرفة موضوعية مستقلة خارج نظام الخطاب وبالتالي لا وجود للحقيقة أو معرفة موضوعية مشتركة في الخارج، هنالك فقط خطابات وصراعات بين هذه الخطابات.³

وقد وصف سعيد هذا الجهاز المفاهيمي خدمة للمفهوم المركزي منه وهو الخطاب أو كما ترجمه "كمال أبو ديب" "الإنشاء" أو "الخطاب الإنشائي" ويعرفه سعيد بأنه «الإنتاج المنظم للأقوال وتبادلها وتداولها يقبل ما فرض عليه فيتخذ مظهر حجة اجتماعية على درجة من الكمال تمكنه من تشريع كيفية قول ما ينبغي أن يقال على وجه الدقة والتمام»⁴

وعلى هذا الأساس يعتقد سعيد أن الاستشراق هو أسلوب من الفكر القائم على تمييز أنطولوجي، ومعرفي بين الشرق والغرب اعتمدته الدراسات الأكاديمية الغربية للمستشرقين في إعادة تشكيل الشرق وصياغته في عملية الإنشاء الخطابي في إطار علاقات القوة والهيمنة في مرحلة ما بعد عصر

¹ ادوارد سعيد: مقالات وحوارات، ص ص160-161

² عبد المنعم ألفيا : في نقد أطروحة ادوارد سعيد، مجلة الرافد، العدد87-118، دار الثقافة والاعلام: الشارقة، فبراير 2009، ص15

³ المرجع نفسه، ص15

⁴ محمد شاهين: ادوارد سعيد مقالات وحوارات، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004، ص ص 160-161

الفصل الأول: **مدخل منهجي للدراسة**

التنوير¹ « وهذا ما يحيل على التكوين المؤسسي للاستشراق وارتباطه بالمصالح السياسية الغربية حيث جاء ازدهار الاستشراق مواكبا للتوسع الاستعماري والامبريالي الغربي»²

(5) المنهج المستعمل:

انطلاقا من المسلمة القائلة بأن الطبيعة الموضوع تحدد نوعية المنهج فرضت علينا طبيعة الموضوع تمثل " المنهج التحليلي" في الغالب مع إعتداد الإستقصاء أحيانا عند التعرض إلى المفاهيم وأحيانا أخرى إعتد على المقارنة عند التطرق إلى المواقف المختلفة حول الاستشراق.

(6) أسباب اختيار الموضوع:

- الرغبة في معرفة نقد الاستشراق عند "إدوارد سعيد"
- لقد كان من بين (الموضوعات) المواضيع الهامة التي لم تحض بعدد من الاهتمام المناسب في أوساط الباحثين في جامعتنا
- قلة الدراسات حول هذا الموضوع أن لم نقل أنها نادرة.
- إنفراد الأجانب في العمل تقريبا في هذا المجال، فأصبحوا يكتبون لنا وأضافوا ما شاءوا من نظريات وأفكار لا تطابق في كثير من الأحيان مع الواقع غير أننا نقبل ذلك ونعتمد على كتاباتهم بكل نزاهة وتكامل في البحث العلمي، فكان هدفنا هو الوصول إلى الموضوعية والحقيقة.
- كانت هذه الأفكار وغيرها من حزت في نفوسنا إلى اختيار هذا الموضوع، والباعث الأقوى للإرادة في تحقيق أهداف التحصيل وإنتاج المعارف من خلال البحث المقدم.

¹ ادوارد سعيد: الاستشراق، ص 38-39

² شيلي واليا: صدام مابعد الحادثة ادوارد سعيد وتدوين التاريخ، ترجمة عفاف عبد المعطي، ط1، دار رؤية: القاهرة، 2006، ص 23

7) الدراسات السابقة:

ونحن نخوض غمار البحث مررنا على بعض الدراسات التي أعدها باحثون متعلقة بالنقد الفكري عند ادوارد سعيد منها : مررنا بدراسة "زبدة فاطمة الزهراء" و "صبايحي النوية" (صورة الشرق في كتاب الاستشراق) لادوارد سعيد دراسة تحليلية وهي مذكرة لنيل شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها جامعة عمار تليجي الاغواط، 2004.

كما لا يفوتنا أن نذكر عنوان الدراسة التي قدمها "بن أيدير إخلاف" (المصادر الفلسفية للدراسات ما بعد الكولونيالية عند ادوارد سعيد) وهي عبارة عن مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2، 2007.

بالإضافة إلى (المثقف والسلطة عند ادوارد سعيد) وهي عبارة عن مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة من إعداد الباحثة بن "خدة نعيمة"، جامعة وهران، 2012.

ومن الدراسات التي أعطينا دفعة عن الموضوع (النقد الحضاري في فكر ادوارد سعيد - أصوله وتطبيقاته) وهي دراسة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في فلسفة الحضارة من إعداد الباحثة "صبرينة شناف" بجامعة الحاج لخضر، باتنة، 2013.

8) الصعوبات التي واجهتنا خلال البحث:

لقد صادفتنا في انجاز هذا البحث صعوبات وعراقيل أهمها، صعوبة الحصول على المصدر الخاص بالدراسة (الاستشراق ادوارد سعيد "ترجمة كمال أبو ديب" وذلك لأنها أفضل ترجمة لدى الباحثين في مجال الاستشراق). أما الصعوبة الثانية هي تشتت الأفكار داخل كتاب الاستشراق مما يجعل المرء يضطر إلى تقليب صفحاته كل مرة من أجل ضبط موضوع ما.

9 خطة البحث:

➤ مقدمة

➤ فصل خاص بالإطار منهجي للدراسة

➤ فصل أول بعنوان : إدوارد سعيد، تكوينه، نظرتة للاستشراق.

يتضمن :

○ حياة إدوارد سعيد

○ أثر تكوين إدوارد سعيد في تكوين ثقافة الغرب

○ إعادة النظر في الإستشراق

➤ فصل ثاني بعنوان : تطور الخطاب الإستشراقي

يتضمن :

○ رحلات الحج إلى الشرق والإقامة فيه ودراسته

○ الدراسات الأنثروبولوجية الكولونيالية

➤ فصل ثالث بعنوان : تفكيك الخطاب الاستشراقي

يتضمن :

○ بنية الخطاب الاستشراقي

○ أزمة الاستشراق عند الغرب

➤ خاتمة احتوت على أهم نتائج البحث

❖ الفصل الثاني

● إدوارد سعيد، تكوينه، نظرته للاستشراق

✓ إدوارد سعيد

✓ أثر تكوينه في تفكيك ثقافة الغرب

✓ إعادة النظر في الاستشراق

الفصل الثاني: إدوارد سعيد، حياته، تكوينه، نظره للاستشراق

تمهيد :

لقد أثار نقد إدوارد سعيد للاستشراق جدلاً واسعاً في أوساط المثقفين و الأكاديميين في جميع أنحاء العالم مما أكسبه شهرة واسعة وذلك من خلال الكشف عن الوجه الآخر للاستشراق عبر استخدام أدوات منهجية كان قد وضعها كأساس للوصول إلى حقيقة الاستشراق، وما أكسبه هذه القدرة هو تكوينه الذي جعله يفتح على العالم ككل، وعلى الإنسانية جمعاء، الأمر الذي سهل عليه تحديد موضوعه -الاستشراق- ويعنيه بالنقد والبحث والتنقيب بهدف الكشف عن صورته الحقيقية. وعلى النحو التالي سنتعرف إدوارد سعيد وعلى تكوينه الذي ساعده في أن يوجه نظراً جديدة إلى الاستشراق.

الفصل الثاني: إدوارد سعيد، حياته، تكوينه، نظريته للاستشراق

1) التعريف بإدوارد سعيد

إدوارد وديع سعيد مفكر وناقد ومنظر عربي ، فلسطيني الأصل أمريكي الجنسية ولد في القدس في الأول من نوفمبر 1935¹، وهو أكبر إخوته الأربعة (روزماري و جين وجويس وقرين سعيد) التي كانت علاقته بهن واهنة لا تبعث على الرضا ينحدر من أسرة بروتستانية ميسورة الحال ، إذ كان أبوه وديع سعيد رجل أعمال ناجح في مجال تجارة الكتب والقرطاسيات، مما سمح لسعيد بالاستكشاف والقراءة مبكراً، اكتسب أبوه المواطنة الأمريكية، لأنه عاش في الولايات المتحدة الأمريكية.

زاوّل إدوارد سعيد تعليمه الابتدائي والثانوي في القدس وفي مصر، حيث تلقى تعليمه الأول بمدرسة "سان جورج" بالقدس، ثم في مدرسة " الجزيرة الإعدادية " ،تخرج بعدها من كلية فيكتوريا بالقاهرة.

يقول إدوارد سعيد: «ولدت في القدس عندما كانت جزءاً من بلد اسمه فلسطين ، غادرت عائلتي مع حلول 1948 عندما أصبحت فلسطين تعرف بإسرائيل وأنا الآن غير مسموح لي بالدخول إلى أرض مولدي...»²، لقد هاجر إدوارد إلى الولايات المتحدة عام (1951)، إلى ما اعتبره منفاه الأخير، أتم دراسته الجامعية كلها في مدرسة "ماونتا هيرمون" بماساشوستيس" وجامعة برنستون ، نال درجة الماجستير والدكتوراه من جامعة هارفارد، والتي درس بها أعلام النقد الجديد وأساطير الاستشراق الأمريكي.

عمل سعيد أستاذاً زائراً في جامعة هارفارد عام 1974، وزميلًا في مراكز الدراسات المتقدمة في العلوم السلوكية بجامعة ستانفورد (1975_1976)، ثم محاضر في برنستون (1977م) وأستاذاً زائراً في جامعة جونز هوبكنز، ظل سعيد يعمل أستاذاً للأدب الإنجليزي والادب المقارن كما شغل منصب رئيس قسم الادب المقارن بجامعة كولومبيا في نيويورك بحيث تتقاطع في هذه الجامعات الحداثة والتقليدية.

¹ إدوارد سعيد: تعقيبات على الاستشراق، ترجمة صبحي حديدي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: بيروت، 1996، ص158.
² كوف دونلب: شبح الغرب، فلم من كتابة ورواية إدوارد سعيد، ترجمة أحمد فيصل، (02.12.2015/23:23)، www.youtube.com.

الفصل الثاني: إدوارد سعيد، حياته، تكوينه، نظريته للاستشراق

كما حصل إدوارد على جوائز علمية شهيرة مثل جائزة العلوم الإنسانية بجامعة كاليفورنيا (1971)، وجائزة ترلينج للإنسانيات (1975) التي تمنحها جامعة كولومبيا لأفضل كتاب يقع عليه الإختيار في نطاق العلوم الانسانية، وقد دعي إدوارد سعيد لإلقاء محاضرات عامة في أكثر من ستين جامعة في أمريكا وكندا.¹

كما استضافته كل من أكاديمية "العلوم البولندية" وجامعة "السربون" وجامعة "كنت" والمجمع الملكي للشؤون الدولية، وهو أيضا عضو في الهيئة التنفيذية لمجلس الإنسانيات في مدينة نيويورك وفي جامعة كولومبيا، وهو محرر الدراسات العربية التي تصدر في أمريكا و أوروبا، وأصبح حديثا رئيسا لمجلس الإدارة في العهد العربي في أمريكا.²

انطفأت شعلته في نيويورك 25 سبتمبر 2003 عن عمر يناهز 67 سنة، بعد حوالي 10 سنوات من المعاناة والصراع مع المرض.

إن انضواء مؤلف الاستشراق الشخصي، قام في نصوصه على التجربة الذاتية بالوسط الأمريكي على وجه التحديد، حيث يحيي الفلسطيني ولو كان أمريكيا مفتقدا لأي وجود سياسي ويعاني ككل عربي أو مسلم من التبعيات العنصرية والتنميطات المسبقة، ومن آثار الإيديولوجيات الإمبريالية اللالإنسانية التي قلما يتعاطف المستشرق (الأمريكي) مع المتضررين منها يقول إدوارد سعيد: «إن الباحثين مثل الأطباء أو أكثر فما من شيء سوى حسن مقال بالواجب الثقافي يدفع باحثا إلى الدراسة لا يحمل فكرة طيبة عنه».³

ويمثل إدوارد سعيد نموذجا للأكاديمي الملتزم، فاقت شهرته الجامعات الأمريكية التي حضر في عديدها ليعانق العالمية بحضوره النقدي في الميادين النقدية فبظهور كتاب الاستشراق 1978 الذي ترجم إلى العديد من اللغات (الفرنسية والألمانية والإسبانية والإيطالية والتركية والفارسية والماليزية وغيرها ونقله إلى العربية كمال أبو ديب)، وقد ذاع صيت إدوارد سعيد وأصبح في تعداد المشاهير وقبله كان كتاب "البدايات: المقصد والأسلوب" (1975) وهو كتاب يبحث في الوصول إلى

¹ محمد شاهين: إدوارد سعيد رواية للأجيال، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: بيروت، 2005، ص36.

² المرجع نفسه، ص37.

³ إدوارد سعيد: الاستشراق، ص290.

الفصل الثاني: إدوارد سعيد، حياته، تكوينه، نظريته للاستشراق

البداية في العمل الفني وخصوصا في الرواية، ويتتبع أصول الأعمال الفنية عند بداية تكوينها في خيال الفنان.¹

إن كتابات إدوارد حول السياسة، والموسيقى الكلاسيكية الغربية فضلا عن التاريخ والأدب كثيرا ما توضح أنه ناقد ثقافي مثله كمثل "ريموند ويليامز"² كما يظهر في كتابه "العالم، النص، الناقد" ومحور هذا الكتاب كان يدور حول النقد الدنيوي، والذي يكون على أربعة أشكال: الاول، هو النقد العلمي، والثاني هو التاريخ الأدبي الأكاديمي، والثالث هو التقييم والتأويل من الزاوية الأدبية، أما الشكل الرابع فهو النظرية الأدبية. هذه الأشكال حسب إدوارد تتألف منها المدرسة النقدية الأدبية.³

كما يضاف إلي رصيد صاحب الاستشراق، كتاب "الثقافة والإمبريالية" وهو كتاب حول «العلاقة بين الثقافة والإمبراطورية»⁴ وكذلك مفهوم التحالط الثقافي وقد أطلق عليه مصطلح القراءة الطباقية.

وفي إطار الاهتمام بالمتقف يواصل سعيد إصدار كتاباته وهذه المرة، بعنوان تمثيلات المثقف (1994) ينطلق فيه إدوارد من المقدمة يبين فيها مهام المثقف، المفهوم الأول: مثقفون تقليديون، المفهوم الثاني: المثقفون العضويون.⁵

وقد ألف إدوارد كثير من الكتب والتي ظهر فيها بثوب المدافع عن القضية الفلسطينية التي اعتبرها بالدرجة الأولى قضية الأرض والمواطن .

ففي القضية الفلسطينية (1979) طرح مجموعة من المحاضرات تنطلق من مفهوم أساسي وهو " أن نفهم ما تعنيه أمريكا والسياسة الأمريكية الآن بالنسبة للقضية الفلسطينية _ بل بالنسبة للعالم العربي أجمع _⁶ وتوجه إدوارد إلى تقديم حل من خلال منظور التعايش بين اليهود

¹ محمد شاهين: إدوارد سعيد رواية للأجيال، ص 37.

² شيلي واليا: ص 58.

³ إدوارد سعيد: العالم النص الناقد، ترجمة عبد الكريم محفوظ، اتحاد الكتاب العربي: دمشق، 2000، ص 5.

⁴ إدوارد سعيد: الثقافة والإمبريالية، ترجمة كمال أودي، ط3، دار الأداب: بيروت، 2004، ص 5.

⁵ بشرى موسى صالح: نظرية التلقي. أصول وتطبيقات، ط1، المركز الثقافي العربي: المغرب، 2001، ص 82.

⁶ إدوارد سعيد: القضية الفلسطينية والمجتمع الأمريكي، ترجمة الدراسات الفلسطينية، ط1، دار المدار الاسلامي للنشر: بيروت، 1980، ص 6.

الفصل الثاني: إدوارد سعيد، حياته، تكوينه، نظريته للاستشراق

الإسرائيليين والفلسطينيين العرب، بقيام دولتين على الأرض واحدة¹، وإتمام آراء حول العلاقة الأمريكية بالقضية الفلسطينية، "ألفا غزة أريحا سلام أمريكي" (1994) حيث شرح فيها طبيعة الارتباط العضوي لسياسة الخارجية الأمريكية بخصوص الشرق الأوسط، وقد عبرت مقالات الكتاب. عن رؤية الواقع للصراع الفلسطيني _ الإسرائيلي.

لم يكن اهتمام إدوارد منصباً على القضية الفلسطينية فحسب، بل حتى قضايا أخرى كانت حاضرة في مؤلفاته ففي كتاب "تغطية الإسلام" (1981) انصب اهتمامه على دراسة الوضع الإيراني أثناء الثورة .

فالكتاب عمومه جاء ليعين موضوع معاصر بصورة مباشرة، وهو المواقف الغربية والمواقف الأمريكية خصوصاً إزاء العالم الإسلامي² فقد بين إدوارد في هذين الكتابين موقف الإيديولوجي الذي يمكنه من أن يعانق التاريخ لا بالثقافة والسياسة وحدها، وإنما بالذات وقد ترك المنفى واقتلاع إدوارد من أرضه - كما هي حالة معظم الشعب الفلسطيني - أثراً بالغاً على الصعيد الوجودي السيكولوجي، فقد وجد نفسه ولأسباب موضوعية مسكوناً بإحساس بأنه في غير مكانه، وهذا ما جعله يؤلف كتاب "خارج المكان" الذي يؤرخ فيه لحياته.

وقد بدأ سعيد التفكير في كتابه سيرته الذاتية، عندما اكتشف إصابته بمرض " اللوكيميا " عام 1999 راد على الذين شككوا في سيرته الذاتية وفي هذه السيرة الذاتية خارج المكان : " يسرد إدوارد معاناته واضطراباته العديدة والمتعلقة بإجراءات والده الإصلاحية لتقويم ما بدا له أنها اعوجاجات جسدية مثلاً: قامته التي أضحت هوس أبيه الذي يقول عنه إدوارد : « حول لنفسه أن يجرمني مثل طفل شقي، ترمز قامته الملتوية إلى ماهية ذميمة تستحق عقاباً علمياً»³.

ومن هنا نجد أن إدوارد قد عاش حياته جد صعبة لا تبعث على الرضى على حد تعبيره هذه الحياة لا تبعث على الاستقرار، وشعوره الدائم بأنه خارج المكان ولم تكن فكرة التسريد التي

¹ بن خدة نعيمة: المثقف والسلطة عند إدوارد سعيد، (مذكورة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة): وهران، 2012، ص56.

² إدوارد سعيد: تغطية الإسلام، ترجمة محمد عناني، ط1، رؤية للنشر والتوزيع: القاهرة، 2006، ص6.

³ إدوارد سعيد: خارج المكان، ترجمة فواز طرابلسي، ط1، دار الآداب: بيروت، 2000، ص12.

الفصل الثاني: إدوارد سعيد، حياته، تكوينه، نظريته للاستشراق

استخدمها في مذكرته جديدة بل إنه قد اختبرها من قبل في أول كتاب صدر له سنة (1966) جوزيف كونراد، ورواية السيرة الذاتية وكان قبل ذلك أنجز أطروحته للدكتوراه عن هذا الروائي البولوني، يقول إدوارد «هذا الكاتب الذي ظل يغريني بل إني مهوس به من نواحي عديدة»¹، إذا يرى إدوارد في سيرة كوندر الذاتية تقاطعا مع سيرته الشخصية، رغم أن كونراد اختار منفاه بنفسه كما اختار الانتماء إلى الثقافة الإنجليزية بمحض إرادته، في حين دفع إدوارد إلى اختيار الثقافة الأنجلو الأمريكية من قبل والديه وأنه اقتلع وشرذ من وطنه مثله.

وفي نهاية حياته يعود إدوارد إلى عالم النقد، ففي كتاب "الإنسانية والنقد الديمقراطي" 2004، وهذا الكتاب يعتبر تلخيصا لأفكاره ورؤيته النظرية والعلمية لنقد، إنه نوع من الوداع الأخير والتسديد على أفكاره ورؤى عزيزة على نفسه، ونتاج سنوات طويلة من التعليم في جامعة كولومبيا.

ويضاف إلى رصيد إدوارد إضافة إلى ما ذكرناه سابقا لوم الضحايا (1998) "أسلو سلام بلا أرض" (1995)، السلطة السياسية والثقافية حوارات مع إدوارد سعيد (2002) فرويد وغيره من الأوروبيين (2003) حول الأسلوب الأخير الموسيقى والأدب ضد السائد².

والحاصل أن إدوارد سعيد شخصية تثير الإعجاب، فرغم تربيته التي كانت كلها غربية لم يستطيع أن يمحو شعوره القديم المتأصل لشرقيته وحنينه إلى عروبته التي حرم منها، فعلا حين انطفأت شعلته في نيويورك أثارت كتابات إدوارد جدلا كبيرا لأنها قامت في غالبيتها على اكتشاف العلاقة غير السوية تاريخيا بين عالم الإسلام والشرق الأوسط من ناحية، وعالم أوروبا والإمبريالية الأمريكية من ناحية أخرى. كما أنها قامت على تفكيك حقل الاستشراق وما كتبه الغرب عن الشرق والعالم الثالث بعامة، وما أثاره ذلك من نقاش في المؤسسة الأكاديمية الأوروبية والأمريكية، وكذلك في الصحافة والإعلام بسبب ما حققه نقد إدوارد لخطاب الغرب عن نفسه وعن الآخرين من تشققات في طبيعة نظرة الغرب إلى نفسه وكذلك إلى الآخر.

¹ المصدر السابق، ص07.

² فخري صالح: إدوارد سعيد. دراسة وترجمات، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون: بيروت، 2003، ص87.

الفصل الثاني: إدوارد سعيد، حياته، تكوينه، نظريته للاستشراق

ورغم أن كتاب الاستشراق يوصف بأنه عمل خارق مهد السبيل لظهور عدد كبير من الكتب التي تبعته، وركزت على تفحص أشكال الخطاب الغربي وتقنيات هذا الخطاب، وطبيعة عمله وتصوره لشعوب العالم الثالث، إلا أن تأثير إدوارد يتجاوز كثيرا هذا الإطار الحصري لعمل "الاستشراق" إلى حقول أبعد من ذلك ضمتها: علم الجغرافيا، والدراسات الأنثروبولوجية. وتاريخ الفن ونظرية ما بعد الاستعمار، ودراسات خطاب ما بعد الاستعمار والنظرية الثقافية، لعل هذا التأثير المتعدد الذي يمارسه عمل إدوارد هو السبب الفعلي الذي جعله هدفا لتحليل والقراءة في الصحافة والإعلام وفي الكتابات والمسافات الأكاديمية، كما أنه دفع دور النشر الكبرى إلى إصدار الكتب عن مسيرته الثقافية وإسهاماته الأساسي في حقول متعددة وتبدأ من النقد الأدبي ولا تنتهي بنقد الموسيقى الكلاسيكية الغربية، لكن هذه الكتب التي تناولنا سيرة إدوارد الفكرية والثقافية وكذلك الذاتية والسياسية لا تحمل على الأغلب نظرة تبجيلية لعمله، بل إنها في الحقيقة موقف نقدي إضافة إلى سيرته الشخصية وموقفه في المؤسسة الأكاديمية وطبيعة نظرية كمنثقف إلى نفسه ودوره ورسالته.¹

¹ المرجع السابق، ص 87.

الفصل الثاني: إدوارد سعيد، حياته، تكوينه، نظريته للاستشراق

2) أثر تكوين إدوارد سعيد في تفكيك ثقافة الغرب:

يقول محمود درويش : طباق عن إدوارد سعيد والتي كتبها رثاءً له وهي عبارة عن حوار

داربين الإثنين جاء فيه:

نيويورك إدوارد يصحو على كسل الفجر

يعزف لحنا لموتسارت

يركض في ملعب التنس الجامعي

يفكر في رحلة الفكر عبر الحدود وفوق الحواجز

يقرأ نيويورك تايمز

يكتب تعليقه المتوتر

يلعن مستشرقاً يرشد الجنرال إلى نقطة الضعف في قلب شرقية

يستحم ، يختار بدلته بأناقة ديك

ويشرب قهوته بالحليب

ويصرخ بالفجر :

لا تتلكأ !

على الريح يمشي . وفي الريح يعرف من هو

لا سقف الريح . والريح بوصلة لشمال الغريب

يقول : أنا من هناك أنا من هنا ولست من هناك

ولست هنا لي اسمان يلتقيان ويفترقان

ولي لغتان ، نسيت بأيهما كنت أحلم

لي لغة إنجليزية للكتابة طيبة المفردات

ولي لغة من حوار السماء مع القدس

الفصل الثاني: إدوارد سعيد، حياته، تكوينه، نظريته للاستشراق

فضية النبر لكنها لا تطيع مخيلتي

والهوية ؟ قلت

فقال : دفاع عن الذات

إن الهوية بنت الولادة . في النهاية

إبداع صاحبها

لا وراثه ماض . أنا المتعدد.

في داخلي خارجي المتجدد

لكني أنتمي لسؤال الضحية

لو لم أكن من هناك لدربت قلبي على أن يربي هناك غزال الكناية

فأحمل بلادك أتى ذهبت وكن نرجسيا إذا لزم الأمر

منفى هو العالم الخارجي

ومنفى هو العالم الباطني

فمن أنت بينهما ؟

لا أعرف نفسي لثلا أضيعها

وأنا ما أنا

وأنا آخري في ثنائية تتناغم بين

الكلام وبين الإشارة

ولو كنت أكتب شعرا لقلت:

أنا إثنان في واحد

لجناحي سنونوة

إن تأخر فصل الربيع

اكتفيت بنقل البشارة

الفصل الثاني: إدوارد سعيد، حياته، تكوينه، نظريته للاستشراق

يجب بلادا ويرحل عنها
يجب الرحيل إلى أي شيء
ففي السفر الحر بين الثقافات
قد يجد الباحثون عن الجوهر البشري
مقاعد كافية للجميع
هنا هامش يتقدم أو مركز يتراجع
لا الشرق شرق تماما ولا الغرب غرب تمام
فإن الهوية مفتوحة للتعداد

لقد تداخل في السيرة الذاتية لإدوارد سعيد الهم الوجودي مع الهم المعرفي وتعالق النفسي الاجتماعي والثقافي بالأكاديمي وبالسياسي والأخلاقي وتمازجت التجارب الذاتية والحميمية بالتجارب الاجتماعية والثقافية واحتلقت نقاط القوة بنقاط الضعف وزالت الفواصل بين النفس الشاعرة التائقة إلى التحرر والانطلاق والنفس المستكنة للقواعد والضوابط والحواجز التقليدية، صعد الهامش إلى المركز وتناصت كل المتناقضات في سيرته الذاتية ما جعلها خطابا منفاويا هجينا هدفه اللامبالاة بالفواصل والحواجز والتحرر من إرباكات السياق الثقافي والاجتماعي وإكراهاته وفضح المسكوت عنه في حياته وتفجير مكبوته وهو الفلسطيني المقتلع من جذوره والمنفى المتجاوز للحدود المزعومة بين الشرق والغرب، ولنا أن نعتبر سيرته الذاتية مروية أو سردا لهويته المربكة والمركبة ولتجربته الإنسانية العابرة للحدود والثقافات واللغات وبعد هذا كله فسيرته الذاتية تشكل خطابا يحاول وصل أسلوب البدايات بالأسلوب الأخير .

لذلك يكون المرور بالسيرة الذاتية لمفكرنا من منظورنا ليس هامشا بل هو النقطة الأساسية من بحثنا فالمرور ههنا « يبرز لنا منهجيا الأهمية التي تحويها عملية العرض لحياة فيلسوفنا من حقبة الوصل بين الأحداث والوقائع والتطورات ومدى تأثيرها على المنحنى النفسي والفكري وكيف

الفصل الثاني: إدوارد سعيد، حياته، تكوينه، نظريته للاستشراق

انعكس ذلك كله على رؤيته الوجودية العامة، وعلى تفاصيلها وتفريعاتها، بلوغاً إلى المقترحات، وعلى تفاصيلها وتفريعاتها، بلوغاً إلى المقترحات الجرائية»¹.

وتبقى السيرة الذاتية في كل الأحوال سرداً للذات وسرداً للهوية في شكلها المباشر وهي في صورتها الغير مباشرة "حكاية منهج" و"حكاية فكر" فبقدر ما يكون للمعرفة منهج يكون للمنهج حكاية خاصة به كثيراً ما تُزامن وتُحايتا السيرة الذاتية للفيلسوف أو الناقد.

فالرحلة الفكرية في أصلها رحلة ذاتية متعلقة بالمسار الشخصي له فهي كما يعتبرها "عبد الوهاب المسيري" بمعنى من المعاني محاولة لكشف العقل الشخصي الذي تحول إلى قلق فكري، أدى بدوره لبلورة مجموعة من الأسئلة وهي كذلك دراسة لوقائع حياتي وأحداثها وتجاربي الشخصية وقراءتي المتنوعة والمواجهات الفكرية، التي خضتها وهي أخيراً قصة بحثي كمتشف عربي على أداة بحثية جديدة تتفق ورؤيته وإدراكه وتيسر عليه تحليل النصوص والظواهر التي يتعرض لها بالبحث والتحليل كما تيسر له توصيل فكرة لقراءته.²

إن غرض أي سيرة ذاتية أو أي سرد لذكريات أن يروي صاحبها حياة الكثيرين فيما يروي حياته الخاصة³ وهو بالضبط ما نلمس حضوره بقوة في السيرة الذاتية التي توضع إدوارد سعيد يسردها وروايتها والموسومة بـ "خارج المكان" حيث تبقى هذه السيرة أو هذه المذكرات ثمرة نضال ثقافي عاشه إدوارد سعيد فعلاً منذ صباه⁴، نضال ثقافي كابده سعيد ضمن سياق ثقافي واجتماعي إمبراطوري هجين (ثقافة فلسطينية، ثقافة مصرية، ثقافة لبنانية، ثقافة بريطانية، ثقافة أمريكية)، وهكذا فإن سعيد وهو يروي حياته الخاصة إنما كان يروي بالأساس حياة الفلسطينيين حيث يصبح السرد وتصبح معه الرواية شكلاً من أشكال النضال والمقاومة وخروجاً من حالة الصمت إلى حالة الصوت.⁵

¹ صبرينة شناف: النقد الحضاري في فكر إدوارد سعيد، أصوله وتطبيقاته، (مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والاسلامية، جامعة الحاج لخضر): باتنة، 2013، ص64، (بحث لم ينشر).

² عبد الوهاب المسيري: رحلتي الفكرية، ط1، دار الشروق: القاهرة، 2005، ص8.

³ علي حرب: خطاب الهوية، سيرة ذاتية، ط2، منشورات الاختلاف: الجزائر، 2008، ص11.

⁴ محمد شاهين: إدوارد سعيد أسفار في عالم الثقافة، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: بيروت، 2007، ص7.

⁵ المرجع نفسه، ص18.

الفصل الثاني: إدوارد سعيد، حياته، تكوينه، نظريته للاستشراق

لقد عاش إدوارد سعيد طفولته في لغة وكتب في لغة أخرى فالفارق بين الإنجليزية والعربية يتخذ شكل توتر حاد غير محسوم بين عالمين مختلفين كلياً بل متعادين: «العالم الذي تنتمي إليه عائلتي وتاريخي وبيئي وذاقي الأولوية الحميمية - وهي كلها عربية - من جهة، وعالم تربيتي الكولونيالي وأذواقي وحساسيتي المكتسبة ومحمل حياتي المهنية معلماً وكاتباً من جهة أخرى».¹

إن مشروع مذكراته مشروع متناقض بشكل ملفت يسرد من خلاله مفارقة هويته وتجربته في المنفى وإرباكات السياقات الثقافية والاجتماعية التي عاناها واستنطاقه للصمت بأكثر من الصوت بحيث يمكن أن نعد مذكراته شكلاً من أشكال مقاومة الصمت أو يسميه هو مقاومة الإبادة الفكرية التي يتعرض لها الفلسطينيون في الكثير من السرديات الغربية فهي أيضاً وفي الوقت ذاته مقاومة لضرب من الفرض المولد للفصام² كثيراً ما احتفى سعيد بهويته المتعددة كونها جعلته ثرياً ومكتفياً. كل عنصر في هويته يكمل الآخر ويعينه ما هو مميز حقا في تجربة سعيد هو أنه متعدد بشكل واع ومرح ومقصود تماماً: إنه ما فتئ يؤكد أنه "غربي" و"عربي" معا... إن التعدد موقف طويقي منبثق من نمط مخصوص من سياسة المكان، وليس مشكلاً نفسياً نجم عن التعرض الى صدمة، إنه مظهر صحي لأنه يمكن المفكر من تكلم لغات عدة ما يفتح أمامه أمماً كان يحسبها أنها غريبة عنه تماماً³. هنا تكمن أهمية المنفى وحيويته بالنسبة لإدوارد سعيد، هو ما أنتج منه مثقفاً منطلقاً أو أكثر استقلالية أو أكثر حضوراً بين الثقافات، وأكسبه وعياً نقدياً ضدياً حتى لنمط حياته وتكوينه وتربيته. بل حتى لعائلته ووالديه هذا ما ترجمه في قوله :

«في حين لا يعرف معظم الناس سوى ثقافة واحدة

وخلفية واحدة، ووطن واحد فإن المنفيين يعرفون إثنين على

الأقل. وتعدد الرؤية هذا يولد وعياً بالأبعاد المتزامنة، وعياً هو

وعى طباقى كما يقال في لغة الموسيقى فعادات الحياة أو التعبير

¹ إدوارد سعيد: خارج المكان، ص8.

² إدوارد سعيد: فرويد وغير الأوروبيين، ط1، دار الآداب: بيروت، 2004، ص ص15-16.

³ فتحي المسكيني: الفيلسوف والامبراطورية في تنوير الانسان الأخير، د ط، إتحاد كتاب العرب: دمشق، 2001، ص109.

الفصل الثاني: إدوارد سعيد، حياته، تكوينه، نظريته للاستشراق

أو النشاط في البيئة الجديدة لابد أن تجري بالنسبة للمنفى
بعكس ما ذكره عن هذه الأشياء في البيئة الأخرى».¹

لقد كان إدوارد سعيد يروم من خلال سرده لمذكراته ان يشعر بالتوازن في شخصيته، وإن يستعيد إلى عمره ما سرق منه بالقوة وهو نوع من المطالبة بحق العودة إلى وطنه الأم فلسطين وإلى ثقافته الأم الفلسطينية العربية المسيحية والإسلامية وهو كان بشكل أو بآخر يبحث عن أن ينسب نفسه إلى هذه الثقافة وأن يتجذر في المكان، الجغرافيا التي كانت في مركز ذكرياته إلى جانب اللغة يقول: «غير أن الدافع الرئيسي لكتابة هذه المذكرات هو طبعاً حاجتي إلى أن أجسر المسافة في الزمان والمكان بين حياتي وحياتي الأمس، أرغب فقط في تسجيل ذلك ما هو واقع بديهي دون قديم وتجربة قديمة قد استدعى شيئاً من البعاد ومن السخرية في الموقف والنبرة».²

وتجسير المسافة بين ما مضى وما هو راهن لم يكن متاحاً إلا من خلال الارتداد في سن الطفولة علماً تفتح ما كان مستغلاً وتفسير ما كان مبهماً ولغزاً في شخصية إدوارد سعيد المركبة من عوالم مختلفة وثقافات متعددة رغم أن الأصل فيها فلسطينية عربية حاولت أن تتصالح مع ثقافات أخرى.

وذلك يساوره شعور قوي ان يروي قصة تكيفه مع ثقافات متعددة ومختلفة وتأقلمه مع عناصرها، أن يروي قصة إنعتاقه وتحرره من السياقات الاجتماعية والثقافية التي كانت تفرض نفسها عليه ورحلة وعيه النقدي الضدي واقتناعه بأنه ليس كباقي المثقفين الآخرين، وأن تجربته تشكل حالة فردية كونه مفكر فلسطيني عانى تجربة المنفى وأشهر سيف الحقيقة في وجه السلطة أتى ومتى جابهها.

إن السؤال الملح في كل مرة كلما تعلق الأمر بإدوارد سعيد، من هو إدوارد سعيد؟ إنه عربي مقدسي الولادة لعائلة كثيرة الترحال والتنقل يقول: «عندما ولدت في القدس عام 1935، كان والدي فعلياً يتنقلان باستمرار بين فلسطين ومصر، بالمناسبة لم أمضي وقتاً طويلاً في فلسطين أو

¹ إدورد سعيد: فرويد وغير الأوروبيين، ص17.

² إدوارد سعيد: خارج المكان، ص22.

الفصل الثاني: إدوارد سعيد، حياته، تكوينه، نظريته للاستشراق

فعليا في لبنان»¹ ومن جراء هذا اللاإستقرار تولد لديه شعور هائل بأنه يقيم خارج المكان ويعيش بين الثقافات فغدا يشعر أنه كثرة في واحد وأنه صاحب هوية مركبة ويقول: «كان والدي يحمل الجنسية الأمريكية ولذلك كنت بالوراثة أمريكيا وفلسطينيا في آن واحد وكنت أقيم في مصر لكنني لم أكن مصريا، أنا أيضا مركب غريب... وهذه أولى ذكرياتي».²

أما على المستوى الديني فإن والداه كانا ينتميان إلى أقلية ضمن أقلية دينية فهما من البروتستانت في فلسطين، وهو بذلك من عائلة لحقت بها الأقلية والتهميش حتى على المستوى الديني والعقائدي فهي تدخل ضمن طائفة مسيحية منعزلة عن الأغلبية الساحقة من المسيحيين الذين يشكلون بدورهم أقلية في مجتمع مسلم بشكل أساسي.³

وعلى المستوى الدراسي والعلمي بدأت حياته الدراسية المبكرة في مدرسة سينت جورج بالقدس، واصل دراسته في كلية فكتوريا بالقاهرة، وحصل على شهادة الليسانس في جامعة هارفارد ثم الماجستير عام 1960 والدكتوراه من جامعة هارفارد عام 1964 وقضى سعيد معظم حياته الأكاديمية أستاذا في جامعة كولومبيا في نيويورك لكنه تحول إلى أستاذ زائر في عدد من كبريات المؤسسات الأكاديمية مثل بال وهارفارد وجون هويكتر في عام 1977 اختير لإلقاء سلسلة من المحاضرات التكريمية في النقد الأدبي بجامعة برنستون.⁴

أما فيما يخص الزمالات فإنه قد حصل على أرفع الزمالات العلمية مثل زمالة العلوم السلوكية في مركز الدراسات المتقدمة بجامعة ستانفور 1975 وزمالة جوجنهايم 1981 وحصل أيضا على أشهر الجوائز العلمية مثل جائزة العلوم الإنسانية بجامعة كاليفورنيا 1981 وجائزة ترنج للإنسانية 1975 التي تمنحها جامعة كولومبيا لأفضل كتاب يقع عليه الاختيار في نطاق العلوم الإنسانية وقد دعي إدوارد سعيد لإلقاء محاضرات عامة أكثر من ستين جامعة في أمريكا وفي كندا.⁵

¹ إدوارد سعيد: السلطة، السياسة، الثقافة، ترجمة نائلة قليلة حجازي، ط1، دار الآداب: بيروت، 2008، ص258.

² إدوارد سعيد: السلطة، السياسة، الثقافة، ص258.

³ المصدر نفسه، ص258.

⁴ محمد شاهين: إدوارد سعيد. رواية للأجيال، ص35-36.

⁵ المرجع نفسه، ص36.

الفصل الثاني: إدوارد سعيد، حياته، تكوينه، نظريته للاستشراق

أما مساره السياسي فقد خطه ووجهه احتلال فلسطين وتشريد شعبها ما شكل مأساة شخصية في حياته وإحساسا مريرا دائما بالنفي والاقتلاع رغم أن والداه حاولا جهدهما أن يبعدها عن السياسة خوفا من تورطه في قضية تبدو خاسرة وفي فترة أصبح الفلسطينيون في الخارج أكثر منهم في الداخل فأصبح الالتزام بقضية كالقضية الفلسطينية تهديدا لوجود عائلته، يقول: كأطفال كنت وإخوتي نعزل بالأخص ادمغتنا عن ما وصفته والدتنا ب"الشريرين" وابعادنا عن الاحداث في فلسطين «والتغيرات كان ما يسعى له والدنا، لإنهما كرها السياسة خوفا من تهديد وجودهم في مصر، السياسة كانت تعني كل الناس ما عدانا...»¹ إلا أن سعيد التحق بالسياسة متحديا ومتجاوزا كل العوائق التي كانت في طريقه إليها فقد بدأ اهتمامه بها وهو في العشرين من عمره رغم إصرار والده على الرفض خوفا عليه من الصهاينة وكان دائم النصيحة له حتى وفاته لأن يلتصق بالأدب ويتعد عن السياسة، وعندما يتعلق الأمر بالسياسة فإن سعيد يثني على مجهودات عمته "نبهة" التي كانت مهتمة بالأمر السياسي وبمستجدات القضية الفلسطينية وعملت جهدها أن تغرس في سعيد الشعور بالانتماء إلى الوطن وتنمي فيه الحمية إزاء السياسة يقول: «عمتي حرصت أن يبقى الوضع الفلسطيني المؤلم دائما حاضرا أمامنا بينما أهلي يحيطون القضية بالكتمان والتجاهل».²

وقد توج سعيد اهتماماته السياسية في عام 1977 عندما أنتخب عضوا في المجلس الوطني الفلسطيني وظل فيه إلى عام 1991 حيث استقال لأنه وصل إلى قناعة بأن المجلس الوطني الفلسطيني لم يعد يمثل الشعب الفلسطيني بقبول ياسر عرفات الشروط الأمريكية لمؤتمر مدريد الذي عقد بعد حرب الخليج وبعد تحالف "عرفات" مع "صدام حسين" وفي مقابل ذلك كانت الاقتراحات المعقولة التي قدمها سعيد مع جماعة الأعضاء من بينهم حنان العشراوي وفيصل الحسيني وآخرين وهي تطمينات طلبها الفلسطينيون من الأمريكيين كان عرفات ببساطة قد ألفها جميعا وقد تتالت بعد استبداد عرفات برأيه وبمصير الشعب الفلسطيني لأن ما راده -حسب سعيد- «هو

¹ صبرينة شنايف: ص74.

² المرجع نفسه، ص75.

الفصل الثاني: إدوارد سعيد، حياته، تكوينه، نظريته للاستشراق

ان يدخل العملية وكانت هذه كلها جزءا من الأسباب التي شعرت لأجلها أن علي الانسحاب من المجلس الوطني الفلسطيني... وكنت ضمن الأقلية حين بدأت الكتابة علنا ضد المنظمة في أواخر العام 1993 بعد إعلان اتفاق أوسلو»¹.

وقد أدى هذا التنوع الثقافي إلى بلورة تفكير إدوارد سعيد حيث ساعدته الثقافة الغربية وإتقانه للغة على تفكيك المفاهيم الثقافية الغربية واستوعب أساليب الخطاب المسيطرة على الشرق جغرافيا وبشريا من الناحية السياسية والاجتماعية والعسكرية والعقائدية وصولا إلى السيطرة العلمية والتقنية حديثا، ما أثمر في العام 1978 كتاب "الاستشراق" الذي زلزل المؤسسة الاستشراقية وغيرها من حال إلى حال وسيكشف إدوارد سعيد هنا تلك الصورة التي ابتدعها الغرب عن الشرق، ويبين أن الخطاب الاستشراقي ليس مجرد فرع علمي حيادي، بل تخترقه علاقات القوة والسلطة، وهذا الكتاب يعبر عن نقد ثقافي مضاد لكل البديهيات المؤمنة بكل أصولية إلى المركزية الأوروبية بوصفها مصدر إشعاع تغمر بضيائها الثقافات الأخرى، بسبب ما قدمته الدراسات الاستشراقية التي صعد نجمها في مرحلة تاريخية ترافقت مع التوسع الاستعماري خلال القرنين 18 و19 يقول سعيد:

«إذا اتخذنا من أواخر القرن الثامن عشر بداية محددة

تقريبية للانطلاق منها فإن الاستشراق يمكن أن يدرس ويحلل

بوصفه المؤسسة المشتركة للتعامل مع الشرق، التعامل معه

بإنشاء عبارات وزوايا نظر مفوضة حوله، بوصفه وتحديد

والحكم عليه، إن الاستشراق باختصار هو الأسلوب الغربي

للسيطرة على الشرق... وامتلاك السيادة عليه»².

¹ محمد شاهين: مقالات وحوارات، صص 205-206.

² بن خدة نعيمة: المثقف والسلطة عند إدوارد سعيد، (مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة): وهران، 2013، صص 52. (بحث لم ينشر).

الفصل الثاني: إدوارد سعيد، حياته، تكوينه، نظريته للاستشراق

وما أثار حفيظة الكثير من نقاد سعيد هو اللهجة الهجومية التي تستند إلى أرشيف ضخم من الكتابات الاستشراقية كما تستند إلى معرفة دقيقة بمناهج التحليل الغربية الجديدة التي قرأت مناطق أخرى من ممارسات "القوة-المعرفة" وكشفت عن فضيحة العقل الغربي في أزمنة التنوير والحداثة، مما مهد لظهور ما يسمى الآن دراسات ما بعد الاستعمار التي تعيد النظر في الخطاب الاستعماري حول البلدان والشعوب المستعمرة ومن ثم تفكك هذه العلاقة وتنظر إلى الذات الوطنية بعيون جديدة غير خاضعة لمناهج التحليل الغربية المهيمنة.¹

ويمكن القول أن ما يدور حول كتاب "الاستشراق" ومعظم أعمال إدوارد سعيد اللاحقة هو العلاقة بين التمثيل وبناء الصورة والسرديات من جهة وما يتخلل ذلك من ممارسة القوة والسلطة من جهة ثانية وتعالج هذه الأعمال العلاقة بين الثقافة والسياسة.²

إن قراءة المدونة الفكرية أو المشروع النقدي يستدعي قراءة أعماله قراءة عضوية يكمل بعضها بعضا ويستدعيه فعمله الأول الذي كرسه لرواية السيرة الذاتية كما تعبر عنها كتابات حوزيف كونراد، والعمل الأكثر أهمية هو "البدايات" الذي قدم فيه دراسة فلسفية عن فكرة البداية في العمل الأدبي، وفيها جرب وانتقد العديد من المفاهيم الفلسفية، المعروفة ورفضها مثل الانطبعية والمثالية، هذان العملا يشكلان الأرضية الفكرية لسعيد وضمن هذا السياق لا يمكن فهم موقف سعيد من الاستشراق دون قراءة أعماله الأخرى، قبل الاستشراق، ما قبله وما بعده، مسألة فلسطين وتغطية الإسلام والثقافة الإمبريالية...

نصل إلى قولنا أن حياة سعيد ومساره الفكري يترجمان قلقا وجوديا معرفيا ويجسدان إرباكا على مستوى الهوية والثقافة، ما تمثله سعيد في مشروعه النقدي الذي كان خلاصته هذا المفكر الفلسطيني الأمريكي الإنساني الفذ، والمتقف الكوني، والمنفي العابر للحدود والتخصصات والمقيم بين الثقافات والأمكنة والمترحل والعربي والغربي معا، والناقد الداخلي للغرب بأدواته المعرفية

¹ فخري صالح: ص ص 17-18.

² بن خدة نعيمة: ص 52.

الفصل الثاني: إدوارد سعيد، حياته، تكوينه، نظريته للاستشراق

والمنهجية فقد هذب سعيد تلونه وتعدده هو تركيبته في العودة إلى الذات وفي الانفتاح على الآخر والتصالح معه.

الفصل الثاني: إدوارد سعيد، حياته، تكوينه، نظره للاستشراق

3) إعادة النظر في الاستشراق:

يعكس نقد إدوارد سعيد للخطاب الاستشراقي تحديات معرفية ومنهجية¹، تتجسد في الموقف النقدي الذي يتجاوز ما كان سائدا في السرديات الفلسفية قبل "كانط" «بما يطلق إما على اعتراض وإما على استقباح يدور حول نقطة محددة، وإما على دراسة إجمالية ترمي إلى دحض أو إدانة عمل ما²، إلى النقد على صورته المعاصرة من كانط إلى فوكو بما هو:

«رسم حدود كل قوة معرفية وبيان مصادر وهمها ووجوه سوء استعمالاتها وتعرية وبعثها الزائف بنفسها وتدمير أصنامها وهدم يقينيات تاريخها وكشف أصول تكونها وتفكيك مسبقاتها والتنقيب عما تسكت عنه وما تقصيه بوصفه آخر وتحديد خطوط التماس أو الفصل الذي ترسمه إزاء ما تحكم عليه بوصفه خارجا أو خطأ أو شرا أو انحطاطا»³.

وفي هذا السياق يؤكد المفكر التونسي "فتحي المسكيني" «بخصوص التحديات المنهجية والمعرفية التي تجلت في كتاب الاستشراق أن:

«علينا الاعتراف بأن تأسيس الحقيقة على التحدي هو موقف إيتيقي وليس إجراء برهانيا، إنه موقف حيوي معتمد وليس واجبا مهنيا... لذلك فإن اختيار سعيد لعبارة التحدي لم يكن صدفة، بل انبثق عن تصور فلسفي محدد للأثر النظري أو النقدي بوصفه موقفا خطيرا ومستفزا ومناضلا»⁴.

¹ إدوارد سعيد: الثقافة والإمبريالية، ص 9

² لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ص 237.

³ صبرينة شناف: ص 99.

⁴ فتحي المسكيني: ص 121.

الفصل الثاني: إدوارد سعيد، حياته، تكوينه، نظره للاستشراق

ولما كان سعيد قد راهن في تحليلاته للخطاب الاستشراقي أن المعرفة الاستشراقية في أغلب الأحوال ليست إلا «تمثيلاً أوروبياً للشرق»¹، فقد أكد "فتحي المسكيني" أن سعيد قد راهن أن تلك المعرفة ليس سوى نمط من الخطاب يتم تحت وقع إدارة سلطة تظل أغلب الأحيان متخفية، لكنها منتشرة في كل فهم لنا بوصفنا "الآخر" «بامتياز، كيف نتحرر من صورة "الآخر" التي صنعها تلقي غربي معين تاريخياً وحوها إلى بنية نموذجية للحكم على شطر كبير من الإنسانية بوصفه كيانا دونياً.²

ولما كان النقد بمفهوم إدوارد سعيد يقارب النقد الفلسفي في نسخته المعاصرة، فإننا نجد إدوارد سعيد يشير بأسف بالغ إزاء الجانب العدمي والسلبى المظلم من استقبال الكتاب في حد ذاته، وهو الزعم المضلل الذي يعد الكتاب معادياً تماماً للغرب ومدافعاً أصلاً عن الإسلام، بل حتى عن الأصولية الإسلامية³. أي بما هو «مجرد دراسة استشراقية أخرى»⁴ وهو ما يوضحه سعيد محاولاً جهده أن يتغلب عليه:

«هذه الفكرة ذات شقين: أحياناً ما يظهران معاً. وأحياناً منفصلين، فأما الشق الأول فهو الزعم المنسوب إليّ بأن ظاهرة الاستشراق مجاز مرسل، أي بعض من كل، أو رمز مصغر للغرب كله... وأما الشق الثاني من الحجة المنسوب إليّ فيماثل الأول في بعد مداه إذ يقول أن الغرب الضاري والاستشراق قد انتهك الإسلام والعرب»⁵.

وعلاوة على ذلك حاول سعيد أن يرفع اللبس الذي يكتنف العلاقة بين المعرفة الاستشراقية والشرق كموضوع دراسة والوعي الغربي، فالاستشراق ليس «استيهاماً أوروبياً حول الشرق بل

¹ إدوارد سعيد: الإستشراق، ص 275.

² فتحي المسكيني: ص 121.

³ مرجع نفسه، ص 122.

⁴ صبرينة شناف: ص 101.

⁵ إدوارد سعيد: الإستشراق، ص 503.

الفصل الثاني: إدوارد سعيد، حياته، تكوينه، نظريته للاستشراق

هو مؤسسة تاريخية: استثمار مادي وجسد من النظرية والتطبيق و"نظام من المعرفة «من ظلالها يرتب "الوعي الغربي «علاقته التخيلية بالشرق ترتيبا سياسيا».¹

فما يهم إدوارد سعيد في دراسته لظاهرة الاستشراق ليس التطابق بين الاستشراق الحقيقي أو الواقعي، فمهمه هو موضوع التحليل الذي هو الوعي الغربي وليس الشرقي في حد ذاته. وكل إلحاح سعيد هو علاقة السلطة التاريخية للمعرفة الاستشراقية بالشرق أو ما يسميه سعيد «القوة المتلاحمة للخطاب الاستشراقي، وروابطه الوثيقة بالمؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي جعلته ممكنا واستمراره المروعة»² بمعنى الكيفية التي نشأ بها الاستشراق وتكوّن بها خطابه الذي اكتسب الاستمرارية والنظام.

و يعتبر مؤلف ادوارد سعيد "الاستشراق" الذي استوعب درس النقد بمفهومه المعاصر وتمرس أدواته وآلياته رافعا تحدياته المعرفية والمنهجية، محاولا رسم حدود الخطاب الاستشراقي بما هو قوة معرفية وبيان مصدر وهمها بتفكيك آلياته وكشف ما يفكر فيه وإمالة الثام عما يسكت عنه بتدمير أصنامهم وهدم يقينيات تاريخه ومن ثمة إظهار تهاوته وإخفاقه المنهجي والمعرفي والإنساني.

إن مراجعة تاريخ المعرفة الإنسانية، يجيل على أن ما من حقل من الحقول المعرفية والثقافية والأكاديمية قد ارتبط بالالتقانات والمساجلات والانتقادات مثلما هو الحال بالنسبة للإستشراق، بحكم أن البدايات الأولى للدراسات الاستشراقية نشأت متساوية والمشاريع الاستعمارية الأوروبية بشكل عام، والمشروعين البريطاني والفرنسي بشكل خاص.

فخطاب الاستشراق قد شكلته منذ البدء درجات متفاوتة ومتشابكة من القوة والهيمنة على مستوى العلاقات بين كل من الغرب والشرق وفي هذا السياق يمكن للمرء أن يوضع كتاب الاستشراق لإدوارد سعيد، الذي لم يعد من المبالغة القول إنه أصبح ينظر به لما قبل وما بعد الاستشراق، بصدور الكتاب عام 1978م، والمترجم إلى العديد من اللغات العالمية يبرزه بوصفه

¹ فتحي المسكيني: 128.

² إدوارد سعيد: الإستشراق، ص ص 5-6.

الفصل الثاني: إدوارد سعيد، حياته، تكوينه، نظريته للاستشراق

أحد المنتجات الفكرية العالمية بالغة الأهمية التي أثرت ولا زالت تؤثر سواء على دوائر الاستشراق أو أنتج ما يمكن أن يسمى مراجعة الاستشراق¹ أو نقده وإعادة النظر فيه حيث تعرض إدوارد سعيد بالنقد والتحليل لشرح المواقف المختلفة للغرب تجاه الشرق بعامة، والثقافة العربية والإسلامية بخاصة.

¹ المرجع السابق، ص 7.

الفصل الثاني: إدوارد سعيد، حياته، تكوينه، نظريته للاستشراق

خلاصة :

إن تجربة المنفى والسفر الدائمين هو ما جعل إدوارد سعيد يفتح على العالم ككل وعلى الإنسانية جمعاء، رافضا الشوفينيات والتمركزات الثقافية وكل صور وأشكال الإنغلاق والدوغماتية العمياء وكل ادعاءات الصفاء والنقاء العرقي أو الثقافي.

كما كان لإنتماء إدوارد سعيد للمجتمع الأكاديمي الأمريكي كأحد خريجي جامعاتها، وأستاذ في عدد منها مكنه من تحديد موضوعه من داخله، ضمن معايير علمية صارمة في النقد و البحث والتنقيب. إن توغل إدوارد سعيد في أعماق المعرفة الإستشراقية يهدف إلى الكشف عن النسيج المعرفي الرابط تحت السطح الذي ينتج الأحكام الإستشراقية. فالملاحظ أنه لم يكن معنيا كثيرا بتعداد الأدلة التاريخية على فساد المقولات الإستشراقية أو تنفيذ نظرياته العرقية، بل كان تركيزه منصبا على تفكيك أجهزتها إلى عناصرها العقائدية والعاطفية التي ركبت منها، ليعيد النظر فيها ويكشف عن الوجه الآخر للإستشراق، بوصفه المؤسسة المشتركة في التعامل مع الشرق لإصدار قرارات حوله وإجازة الآراء فيه، وإقرارها بوصفه وتدليسه، والإستقرار فيه، وحكمه.

❖ الفصل الثالث

• تطور الخطاب الاستشراقي

✓ رحلات الحج إلى الشرق والإقامة فيه ودراسته

✓ الدراسات الأنثروبولوجية الكولونيالية

الفصل الثالث : تطور الخطاب الاستشراقي

تمهيد :

يعتبر الاستشراق العلم الذي يهتم بالشرق. علوم ولغاته ودياناته وقد تعدى في الكثير من الأحيان إلى أكثر من ذلك فلم يترك مجالاً من المجالات إلا وأدلى بدلوه فيه، وهكذا أخذت الرحلات من الغرب تتوالى على الشرق وكثرة وتزايد الطلب على الإقامة فيه والبحث عن المتطلبات المعجمية عنه، لن هذا النمط سعان ما تغير وأخذ مجرى آخر إذ أصبحت للخطاب الاستشراقي نوايا وأهداف تتخفى وراءه. كل هذا وذاك سنتعرفه عليه على النحو التالي.

الفصل الثالث : تطور الخطاب الاستشراقي

1/ رحلات الحج إلى الشرق والإقامة فيه ودراسته:

كان كل رحال أو مقيم في الشرق مازال مضطرا إلى أن يحمي نفسه من تأثيرات الشرق المقلقة ففي الشرق كان المرء يواجه فجأة قد ما يفوق التخيل وجمالا لا إنسانيا ومسافات لا نهائية، وكان يمكن لهذه الأشياء أن توضع موضع الاستخدام بصورة أكثر براءة بوجه من الكلام إذا فكر فيه أو كتب عنها بدلا من تجربتها تجربة مباشرة والشرق في قصيدة "بايرن جيارو" والديوان الغربي الشرقي لـ "غوته" وكتاب هوغو "الشرقيون" «هو شكل من أشكال التنفيس ومكان لفرض الأصلية عزفت نغمته الأساسية في قصيدة "غوته" (هجرة)¹ «الشمال والغرب والجنوب تتفتن، تنفجر العروش وتتمزق الامبراطوريات أنظر بعيدا وفي الشرق النقي تذوق نسيم البطريق» لقد كان الشرق مكانا للحج وقد أخذ كل عمل لم ينتمي إلى استشراق أصيل إن لم ينتمي إلى استشراق جامعي شكله وأسلوبه ونيته من فكرة الحج إلى الشرق.²

وقد جابه المرء في كل مكان شرقيين، عربا كانت حضارتهم وديانتهم وممالكهم، الانحطاط والبربرية والضدية (للحضارة الأوروبية). ورغم ذلك فإن "شاتو براين" لم يكن يرى من مفارقة فكهة في حقيقة أن رحلته وطوافه ورؤياه لم تكن لتعطيه شيئا عن الشرقي المعاصر ومصيره، فما يهم من الشرق ما يدعه الشرق يحدث "لشاتوبريان" ما يسمح لروحه بأن تفعله وما يتيح له أن يكشفه عن نفسه، وأفكاره وتوقعاته والحرية التي تعنيه إلى هذا الحد ليس أكثر من انفلاته هو من خرائب الشرق العدائية، ولذلك فإن شاتوبريان في القدس في المركز من رؤياه، وفي النهاية المطلقة من حجته، يمنح نفسه نوعا من التلاؤم والمصالحة الكلية مع الشرق؛ الشرق بوصفه يهوديا؛ مسيحيا مسلما اغريقيا فارسيا رومانيا وأخيرا فرنسيا.³ كل حاج يرى الأشياء بطريقته، غير أن ثمة حدودا لما يمكن أن يستخدم الحج من أجله وللهيئة وللشكل اللذين يمكن أن يتخذهما وللحقائق التي يكشفها، لقد عبرت جميع زيارات الحج إلى الشرق، أفرض عليه أن تعبر بأرض الكتاب

¹ إدوارد سعيد: الاستشراق، ص 182.

² المصدر نفسه، ص 182.

³ المصدر نفسه، ص 188.

الفصل الثالث : تطور الخطاب الاستشراقي

المقدس، إن معظمها في الحقيقة كان محاولات إما لعيش جزء ما من الواقع اليهو-مسيحي، اليوناني من جديد أو لتحريره من الشرق الواسع، الفسيح إلى درجة لا تصدق وقد كان الشرق المشرق شرق الباحثين الاستشراقين، بالنسبة لهؤلاء الحجاج تحديا ينبغي أن يجابه تماما كما كان الكتاب المقدس، والحروب الصليبية والإسلام أي ينبغي أن يحسب له حساب.¹ لقد ادعى حاج "كشاتوبريان" بوقاحة أنه قام برحلاته من أجل نفسه فقط وبصورة قطعية، يقول:

«ذهبت أبحث عن الصورة هذا هو كل شيء... وبالمقابل فإن الحاج الفرنسي كان مفعم النفس بإحساس بالضيق الحاد في الشرق فإن الحجاج الفرنسيين منذ فولتي رسموا وتخيلوا وخططوا وتأملوا في أمكنة كانت قائمة أساسا في أذهانهم وقد وضعوا تخطيطات لإيقاع فرنسي، بل ربما أوروبي؛ نمطي في الشرق، لهذا كان شرقهم شرق الذكريات والأثار الموحية والأسرار المنسية والتراسلات الخفية؛ أسلوب كينونة الطهر والفضيلة تقريبا.»²

وجدت أشكاله الأدبية الأسمى في أعمال "فرنال" و"فلووير" التي مرت بصلاية في بعد تخيلي يستحيل تحقيقه³ وبخلاف "فولتي" و"نابليون" فإن الحجاج الفرنسيين في القرن 19م لم يكونوا يبحثون عن حقيقة علمية بقدر ما كانوا يبحثون عن حقيقة علمية؛ بقدر ما كانوا يبحثون عن حقيقة غريبة مدهشة لكنها رغم ذلك ذات جاذبية خاصة، ويصدق هذا بوضوح على الحجاج الفرنسيين المتأدين بدءاً "بشاتوبريان" الذين وجدوا في الشرق مكانا يتعاطف مع أساطيرهم وهويتهم ويستغلون الشرق في أعمالهم من أجل أن يبرروا بطريقة ملحة، مآربهم الوجودية.⁴

¹ المصدر السابق، ص184.

² المصدر نفسه، ص184.

³ المصدر نفسه، ص184.

⁴ المصدر نفسه، ص184.

الفصل الثالث : تطور الخطاب الاستشراقي

في بداية القرن التاسع عشر بدأت الجامعات والمعاهد العلمية الأوروبية و بصورة خاصة الجامعات الألمانية بتوسيع معلوماتها عن البلدان والشعوب ولغاتهم وحضاراتهم وكانت جامعة برلين بمساعدة مؤسسها عالم الجغرافيا "هومبولد" قد بدأت بالاهتمام بالدراسات الجغرافية والأنثروبولوجية للمناطق والشعوب البعيدة وحتى النبات والحيوان، والاهتمام في الوقت نفسه بدراسة اللغات المختلفة والعادات والتقاليد، ومن جميع القارات عدا أوروبا. وكانت هذه المرحلة آخر مرحلة من مراحل الاستكشافات الجغرافية وبداية لعصر جديد، هو عصر الاستعمار والإمبريالية.¹

في الإقامة في الشرق والبحث عن المتطلبات المعجمية والخيال يقدم إدوارد سعيد "كارل ماركس" مثلاً على كيفية التي يقوم بها الاستشراق في الغرب بخنق أي محاولة للتعاطف المتفهم مع الشرق ففي مقالة "ماركس" تتعلق بالهند، يبدي "ماركس" ابتداء تعاطفه مع بؤس البشر في ظل الحكم البريطاني للهند والوحشية الصريحة هناك، إلا أن هذا التعاطف سرعان ما يتبخر ويتلاشى ليحل محله الرؤيا الاستشراقية القديمة للتفاوت بين أبناء الشرق والغرب، ولفكرة خلاص الشرق الرومنسي على الغرب، وذلك حين يصل "ماركس" إلى تسويق تدمير بريطانيا للهند بهدف خلق ثورة اجتماعية اقتصادية حقيقية فيها ويتساءل إدوارد سعيد أين ضاع هذا التعاطف الإنساني "ماركس" وفي أي عالم من الفكر تلاشى؟.

وفي معرض إجابته يقرر ما مفاده أن "ماركس" -وكما الكثير من مفكري أوائل القرن التاسع- لم يكن قادراً على تصور الإنسانية إلا في إطار عمومية مجردة وكيانات شعوبية مصطنعة، وملصقات عريضة تحشد الكثير من التمييزات الخارقة في القدم بين أوروبا وآسيا أو الغرب والشرق.

وينقب إدوارد سعيد عن الآلية التي تفرز بها التعميمات الاستشراقية بحيث تسيطر على أي تقرير أو حكم يمكن أن يصدر حول الشرق في الغرب وبحيث تجبر عقلاً فردياً كعقل "ماركس" على استخدامها بالرغم من تعاطفه ولو على درجة بسيطة مع آسيا الفقيرة ونجده يعثر على هذه الآلية

¹ المصدر السابق، ص184.

الفصل الثالث : تطور الخطاب الاستشراقي

في قدر ضخم من المادة الكتابية التي كان الاستشراق قد منحها صلابة داخلية ومشروعية ثقافية عامة مع تجارب كانت في جوهرها استمرار لتلك التي تمت على يد "ساسورينان" بيد أن هذه التجارب امتازت بأن التراث الذي انتجه استمد شرعيته في حقيقة فرضت نفسها بقوة وهي حقيقة الإقامة في الشرق والاحتكاك بوجود الفعل به.

«فأن يقطن المرء الشرق هو أن يعيش حياة امتيازات لا حياة المواطن العادي، بل حياة ممثل أوروبي تحتوي إمبراطورته (فرنسية كانت أم بريطانية). الشرق بين ذراعيها العسكريين والاقتصاديين وفوق كل شيء الثقافيين، وبهذه الطريقة لأن الإقامة في الشرق والثمرات البحثية لهذه الإقامة في تراث الكتب للموافق النصية التي عهدناها لدى رينان وساسي وتشكل التجربتان معا مكتبة صلبة ضخمة ليس بمقدور أحد حتى ماركس نفسه ان يتمرد عليها أو يتجنبها»¹

وعلى العموم يشكل إدوارد سعيد في قدرة أي مشروع فكري طامح في الغرب أن يتجاوز المؤسسة الاستشراقية وما قدمته في التعرف على الشرق وقد شكل كلامه هنا إدانة صريحة "لماركس" أثارت حفيظة الكثير من الماركسيين عليه وأدت إلى دعوة بعضهم لتجاهل كتاب الاستشراق.

لقد كان للحج إلى الأراضي المقدسة دور كبير في الاستشراق فقد غدا الشرق بعد حملة نابليون عليه وإلى نهاية القرن التاسع عشر مكانا مفضلا للحج والترحال وكان كل حاج يرى الأشياء فيه بطريقته الخاصة فالإنجليزي يمسح الأمور في الشرق وكأنها غدت ممتلكات بريطانيا بالفعل ذلك أنه يمتلك حساً وتصوراً لما يمكن أن يستتبع رحلات الحج الاستكشافية، أما الحاج الفرنسي فقد كان

¹ المصدر السابق، ص 173.

الفصل الثالث : تطور الخطاب الاستشراقي

مفعم النفس بإحساس الضياع الحاد في الشرق فقد جاء إلى مكان لما لفرنسا فيه بخلاف بريطانيا أي حضور من السيادة، وكان البحر المتوسط يرجع صدى الهزائم الفرنسية من الحروب الصليبية إلى نابليون، ومن الكتاب الذين استقت أعمالهم شكلها بواسطة ترحالهم إلى الأراضي المقدسة، "شاتوبريان، ولامارتين، وفرنال، وفلوين"...

لكن صراع المصالح احتدم بين البريطانيين والفرنسيين في الشرق. فبذريعة حماية الأقليات، عمل كل طرف إلى التدخل في الشرق لحماية مصالحه فيه وقد درست جميع الأقليات من يهود وروم وأرثوذكس وأرثوذكس روسيين، ودروز، وشركس، وأرمنيين، وأكراد والمذاهب والملل المسيحية الصغيرة المختلفة وخطط لها تؤمر عليها من قبل القوى الأوروبية.

«وفي عام 1860م أثناء الصدامات بين الموارنة والدروز في لبنان دعمت فرنسا المسيحيين، بينما دعمت بريطانيا الدروز، ذلك أن ما كان يقف في المركز من السياسة الأوروبية في المشرق بأكملها هو مسألة الأقليات، التي ادعت القوى العظمى - كل بطريقتها الخاصة - أنها تحمي مصالحها وتمثلها».¹

¹ المصدر السابق، ص 204.

2/ الدراسات الأنثروبولوجية الكولونiale:

هناك الكثير من العرب الذين تأثروا بالغرب قد كتبوا عن الاستشراق ومؤثراته، بعضهم سار المنحى الذي لا يمكن أن يجد له متلقيا في الشارع العربي بينما كان البعض الآخر مهاجما غير منطقي في تحليلاته ولغته غير العقلانية، ولكي نسلط الضوء على إدوارد سعيد وماهية وجوهر أفكاره التي باتت اليوم لا تحتاج إلى كثير من النظر فيها كنتيجة لما يحدث، لعننا نستطع الآراء ونتوصل إلى مرامي الفكر من ناحية الخلاف واللقاء، بما فيها الآراء التي طرقها إدوارد سعيد نفسه عن هؤلاء ولكن قبل الولوج في هذه الأطروحات، لابد من أن ننبه من أن إدوارد سعيد قد درس بصورة لافتة للنظر نظرية "ميشال فوكو"، حول الخطاب وبيان العلاقة بين المعرفة والسلطة، فطبقا "لفوكو" إن المؤسسات لا يمكنها العمل دون استخدام السلطة حتى لو كانت معرفية الأداء، لذا لابد من أن يكون للسلطة خطاب يستخدم لتعميق الصلة بالإنسان، لكون أية سلطة لا يمكن قيامها بذاتها ما لم تكن قابلة تطبيقية، والتطبيق لا يمكن ولادته من دون خطاب تراكمي موجه.¹

أما البند الثاني الذي درسه إدوارد سعيد بدقة فهو مفهوم "أنطونيو غرامشي" حول الهيمنة السياسية والثقافية الذي يعتبره أداة التوازن بين المثقفين والسلطة²، وضمن هذين المنحيين تمكن إدوارد سعيد من تحليل الخطاب الأوروبي حول الشرق ولكن برؤية أكثر تحضرا لأنه سلط الخطاب وجدليته على حقول المعرفة المتصلة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية والاستعمارية وما بعد الاستعمارية والتاريخ الأنثروبولوجي والجغرافي والسياحة وغيرها من العلوم، أي أنه حاول القول إن الغرب بتراته ووجوده وحدة متكاملة، والشرق بوجوده وحضارته وحدة متكاملة ولا يمكن قراءة أيهما دون وحدته المتكاملة من هذه النواحي، حيث ركز بعد هذه الدراسة المستفيضة على الخطاب الأوروبي البريطاني والفرنسي منذ القرن الثامن عشر وحتى القرن العشرين كونهما دولتين غزتا الشرق، ليس ثقافيا، بل عسكريا ومنفعيا لذا عكف على دراسة سياسي ورحالة وعسكري تلكما

¹ المصدر السابق، ص 2-3.

² شيلي واليا: ص 93.

الفصل الثالث : تطور الخطاب الاستشراقي

الدولتين في الشرق وأسماهم المستشرقين وأكد أن ما أنتجوه من دراسات نحو الشرق ما هو إلا خطاب استشراقي ضمن هذه المعطيات. وهكذا ميز إدوارد سعيد الاستشراق ضمن ثلاث أطروحات متناغمة بعضها مع بعض ومختلفة في تخصصاتها ومتوازنة ملتقية بخطاباتها وهو:

أ/ الاستشراق الأكاديمي الذي يدرس الشرق في سماته العممة والخاصة.

ب/ الاستشراق الفكري المستند إلى التمييز الوجودي والمعرفي بين الشرق والغرب.

ج/ الاستشراق الأسلوبي الغربي للسيطرة على الشرق وإعادة هيكلته من خلال امتلاك السلطة والتسلط.

إن هذه الأطروحات الثلاثة للاستشراق -برأينا- لا يختلف أحد مع إدوارد سعيد حولها؛ لكونه تمكن من تصنيف الغث والسمين وتمييز المستشرق عن الباحث والأكاديمي دون أن يكون له حقد على أحد أو رأي ضد أمة؛ لكونه قد استنتج هذه الأبعاد من كتابات المستشرقين أنفسهم وقارنها مع الأحداث والوقائع، وهكذا فقد سهل عليه تصنيفه للاستشراق تصنيف المستشرقين الذين وضعهم ضمن ثلاث اعتبارات أيضا. إذ قال إن هناك نوعا من المستشرقين الذين ذهبوا إلى الشرق لدراسته بصورة احترافية وعلمية، وأعطى مثلا على ذلك الرحال وعالم الآثار البريطاني "إدوارد ويليام لين"، الذي كتب عن المصريين وعاداتهم وأنماط حياتهم أما القسم الثاني من المستشرقين فهم الكتاب الذين يبحثون عن اكتشاف المشرق بجواضره وثقافته وعمليته، لكن اهتماماتهم الفردية هي التي تسيطر في النهاية على عملهم وإنجازاتهم ومنهم الرحال والبريطاني والعالم اللغوي "ريتشارد بيرتن" صاحب كتاب "الحج إلى المدينة ومكة" الشهير، أما الصنف الثالث فهو الذي يستشرق لإرضاء رغباته ويمثلهم الرحال والرسام والشاعر الفرنسي "جيرارد دي نرفال" صاحب كتاب "رحلة إلى الشرق" أو كما صدر بالطبعة الإنجليزية تحت عنوان "امرأة من القاهرة".¹

¹ إدوارد سعيد: الاستشراق، ص70.

الفصل الثالث : تطور الخطاب الاستشراقي

تمكّن إدوارد سعيد من خلال هذه التصنيفات للإستشراق والمستشرقين أن يجدد أن الاستشراق قد تم استغلال وصفته الأكاديمية لأغراض سياسية وانتقل من موضعه الأكاديمي المتعلق بضرورة المعرفة الغربية للشرق إلى التوضع في عرين الهيمنة على الشرق، ويستشهد إدوارد سعيد بمقولات "فلوبير ونرفال وسكوت"، الذين يعتبرهم مبدعين، ويصفهم في النهاية بأنهم خضعوا لفكرة السياسة حين يعبرون عن أوروبا بـ "نحن" والشرق بـ "هم"، فهو لا يتخوف من أن يضرب مثلا عن "لامارتين" الذي كتب عن نفسه وعن السلطة في فرنسا مبررا احتلالها للشرق، ويغوص أكثر من ذلك في تحليله لخطاب "اللورد كرزن" الذي لم يخرج عن لغة الهيمنة الإمبريالية حين يقول: علاقة الشرق ببريطانيا العظمى هي علاقة مالك ومملوك، معللا الإستعمار البريطاني للشرق بضرورة إصلاح هذه الأرض الشاسعة التي يمتلكها أناس غير أكفاء وإعادة ملكيتها إلى مستعمر كفاء، من هنا، لا يمكن لوم إدوارد سعيد حين يسمي هؤلاء "بالوكلاء الإمبرياليين" الذين ذكر منهم الكثيرين.¹

لقد أنتج الاستشراق من خلال هؤلاء "الوكلاء الإمبرياليين" عدائية غربية ضد الشرق، وبخاصة العرب، ومن ثم المسلمون، ولعل ما استشهد به إدوارد سعيد من كتابات بعض المستشرقين الغربيين حول العرب والمسلمين يعزز هذه الأطروحة، فهذا اللورد كرومر "يصور العرب بالسذج ويصفهم بالخداع والكذب والحمول والطباع التي لا تنتمي إلى الإنسانية في كتابه الموسوم "مصر الحديثة" بل ذهب كرومر إلى أبعد من ذلك في وصفه العربي بالمتعلق والمقيت والتافه.

هناك شواهد عديدة أوردها إدوارد سعيد لمستشرقين غربيين اتفقوا جميعهم على صيغة كتابية واحدة ونبرة متساوية وكأنهم اتفقوا على ترديد هذه الأطروحات حتى تكون حالة يؤمن الشرقي أنه موجودة فيه قبل أن يؤمن الغربي أنها جزء من شخصية العربي و المسلم. هذه الشواهد المتزامنة والمتفقة التي تكمل بعضها بعضا نجدها كما أوردها إدوارد سعيد عند "نورمان دانيال" في كتابه "الإسلام والغرب" و"توماس كارلايل" في كتابه نقد القرآن" ويبدو أن هذه المؤثرات وجدت

¹ المصدر السابق، ص39.

الفصل الثالث : تطور الخطاب الاستشراقي

طريقها حتى عصرنا الحاضر، إذا ما أمعنا النظر في أدولت الإتصال الحديثة منها الأفلام التي تبين العربي إرهابيا وشهوانيا وشريرا ولا يفهم من الحياة إلا إقتناء الجمال،¹ لذا ليس غريبا أن يؤمن إدوارد سعيد بالأطروحة الاستشراقية التوضيح وتؤسس إلى الاختلاف المطلق والسائد بين الغرب والشرق، وفق الوصف المصطنع للعرب والمسلمين، الذي جاء على لسان "بلفور و كرومر"، ولكن المهم في رؤية إدوارد سعيد التي أنتجها الغرب وحاول التنظير فيها كمنظريّة العرق والتصنيف البشري وعلم الأنثروبولوجيا والداروينية والرأسمالية؛ جميعها عناصر أساسية لتكريس سموّ الجنس البشري الغربي بالمقارنة مع الشرقيين.

هذه الرؤية البديعة التي عششت في فكر إدوارد سعيد، وجعلته لدى الغرب شخصية مقيته ومحجوبة في وقت واحد، دفع بالعديد من المفكرين إلى مناقشة آرائه. وهو ما يدل على أن ما قاله إدوارد سعيد بات مؤثرا في الجوانب التي أسس لها الغرب، ويبدو أن الغرب كان في حالة متماسكة في الدفاع عن الأطروحة التي آمن بها بحق الشرق على الرغم من ورود كتابٍ آخرين عللوا الحالة بما يسمى مرحلة "ما بعد الاستعمار"، إلا أن الهجمة الانتقادية الغربية الشرسة على إدوارد سعيد عززت مكانته وأثبتت عمق أطروحاته الفكرية نحو الاستشراق وصدقها. فقد أثارت أعمال إدوارد سعيد التي جاءت بعد كتاب الاستشراق حالات من الجدل والتبرير، حتى ذهب البعض باتهامه بالمارد الذي يريد أن يفتت العلاقة بين الشرق والغرب. ولكن كل هذه الاتهامات لم تجد طريقا للهجوم على إدوارد سعيد إذ إن العديد من الغربيين نضجت أفكارهم وترعرعت مفاهيمهم من على أعتاب مدرجات الجامعات التي كان يلقي منها محاضراته الكبيرة.

¹ المصدر السابق، ص131.

الفصل الثالث : تطور الخطاب الاستشراقي

خلاصة :

بعد تتبع المسار التاريخي لتطور الخطاب الاستشراقي لاحظنا أنه تمّ السيطرة على المؤسسات الثقافية وتوجيهها والتحكم في مسارها ليصبح كثير من المستشرقين والأنثروبولوجيين من العناصر المهمة في إطار التحكم والتوجيه، وهكذا تم "تغريب" العالم الثالث ثقافياً. وأصبح الكثير مما قام به الرحالة والمستشرقون والأنثروبولوجيون لا ينفصل في الحقيقة عن الأهداف السياسية والاقتصادية والاستعمارية.

كما يمكن القول أن إدوارد سعيد تمكن من خلال تصنيفه للاستشراق أن يحدد أن الاستشراق قد تم استغلال وصفته الأكاديمية لأغراض سياسية وانتقل من موضعه الأكاديمي المتعلق بضرورة المعرفة الغربية للشرق إلى التموضع في عرين الهيمنة على الشرق.

❖ الفصل الرابع

• تفكيك الخطاب الاستشراقي

✓ بنية الخطاب الاستشراقي

✓ أزمة الخطاب الاستشراقي

الفصل الرابع : تفكيك الخطاب الإستشراقي

تمهيد :

لقد إستطاع الاستشراق أن يقدم مسحا واسعا لتاريخ الشرق وجغرافيته، وأسهم بذلك في بلورة المعرفة الغربية به وبشعوبه بوصفه مكتترا علميا بلغ حدا عظيما من الاتساع لكنه قام أيضا لكنه قام أيضا على الارتداء الإيديولوجي لدونية الشرق والعالم الإسلامي خصوصا كما سبق الذكر، لذلك يمكن القول أن الاستشراق جهاز مركب من عدة بني مضمرة يصعب على الناقد المنهجي الكشف عنها، لكن إدوارد سعيد بحكم خبرته استطاع أن يفكك بنية الخطاب الاستشراقي ويكشف هويته الأصلية.

عبر هذا الفصل سنتعرف على البنية الحقيقية للإستشراق التي كشف عنها إدوارد سعيد وعن الأزمة التي آل إليها الاستشراق.

الفصل الرابع : تفكيك الخطاب الاستشراقي

1. بنية الخطاب الاستشراقي :

لقد شبه إدوارد حماسة الأوربيين باتجاه الشرق بتلك التي انتابتهم نحو التراث اليوناني واللاتيني الكلاسيكي في عصر النهضة، يحيلنا إدوارد سعيد بدراسة "ريمون شفاف"، وفي تتبعه ووصفه لهذه النهضة التي تجايلت في الغرب مع بدايات العصر الذهبي الذي رافق حركة الاستعمار الأوروبي قبيل الثورة الصناعية إبانها هناك.

لقد كانت لهذه اليقظة في الاهتمام بالشرق أسباب ودوافع عدة، كما درسها "شفاب" في كتابه (النهضة الشرقية)، حيث ألقى الضوء على تعطش الفكر الغربي لإيجاد مرجعيات ومصادر أو منابع أخرى غير المنابع الإغريقية الرومانية للحضارة والثقافة الغربية، بعد أن أصبح ارتياد الشرق شكلا من أشكال الاستكشاف؛ استكشاف (من خلال الآخر)، ولنفس الغرض أيضا يستشهد بأحد أعلام الأدب والفكر الغربيين "فكتور هوغو" بقوله «في عهد لويس الرابع عشر، كان المرء هيلين التعرق، أما الآن فإن المرء استشراقي.» ومع عهد الاستشراق قد بد فعليا منذ صدور قرار مجمع فينا الكنيسي الذي قضى بتأسيس عدد من الكراسي الأستاذية لتدريس اللغات العربية واليونانية والعبرية والسريانية في جامعات باريس، وأكسفورد وبولينا وأفينون، وهو التاريخ الذي بدأ فيه الغرب يؤرخ للإستشراق الرسمي¹، إلا أن اهتمام سعيد بالاستشراق ونقده ينصب على شكله الحديث الذي بدأ في أواخر القرن الثامن عشر وبالتحديد مع حملة نابليون على مصر 1798م، وعلى الرغم من هذا التاريخ الطويل من الاستكشاف والاكتناه الغربي للشرق، لم يؤدي في نظر إدوارد سعيد إلا المزيد من تقليص المسافة المعرفية بين ما قاله مستشرق وآخر عن الشرق.

مقارنة بالمسافة الزمنية التي تفصل "هومبروس" عن "غرومبارو"، بمعنى أن الفروق بين أولئك الذين كتبوا عن الشرق، على اختلاف أزمته وتتنوع مشاربهم هي مجرد «فروق ظاهرة؛ فروق في الشكل والأسلوب الشخصي وهي نادرة ما كانت فروق في المضمون.»² ويبدو أن كلمة نادرا في

¹ إدوارد سعيد: الاستشراق، ص 80

² المصدر نفسه، ص 217

الفصل الرابع : تفكيك الخطاب الاستشراقي

تعميمات إدوارد سعيد يمكنها أن تشفع حتى لأكثر فلاسفة وأدباء وكتاب القرن 19م استنارة، أمثال "رينان وماركس وساسي وفلوبير ونرفال" والقائمة طويلة، ودليل سعيد على ذلك أن أيّ من هؤلاء أو غيرهم لم يتجرأ على اختراق انفصالية الشرق وشذوذ يته المميّزة بتخلفه، أو لامبالته الصامتة وأنتويته القابلة للاختراق، أو كسله الملفت واستهجانه للنظام مما يوحي بلاتاريخية الرؤيا الاستشراقية، التي أبقت الشرق شرقا والغرب غربا، كما قال "كبلنج" «فلم يحدث أن التقى هذان التوأمان إلا على نحو عرضي أو تكيفي» هذا المصير قاد منطق سعيد إلى استنتاج «أن نمو المعرفة وبصورة خاصة الصورة المتخصصة بالشرق، عملية بطيئة جدا، ذلك أن هذا النمو ليس مجرد إضافة أو تراكم بل هو عملية من التكديس والإزاحة والحذف وإعادة الترتيب.»¹ ويقودنا حكم سعيد الأخير هذا حول تطور المعرفة الاستشراقية إلى إحدى بناه ومنظوماته المفاهيمية إلى ما يسميه الاستشراق الظاهر والاستشراق الكامن.

1.1. الاستشراق الكامن :

هو ذلك الثابت الذي يتحكم بضوابط المقال الاستشراقي منذ أن كان مع "هوميروس" «إلى أن بقي مع المستشرق المعاصر "غرونباوم"، مرورا "بدانتي" و"فلوبير" و"ماركس" و"رينان"... وغيرهم.

فقد قادت استقصاءات سعيد لمسارات الاستشراق وتبعه لمنعطفاته التاريخية وتنويعاته المقالية، إلى استنتاج صريح مفاده أن «المادة الشرقية في شكلها الأكثر أساسية إذا لم تكن عرضة للانتهاك من قبل الاكتشافات التي يقوم بها إنسان ما ولم يبدو أنها خضعت حتى مرة واحدة لتقييم جديد كلي.»²

وتأكيدا لهذه الحقيقة يستشهد سعيد بدراسة يصفها بالقيمة واللامعة جدا أنجزها "جاك فارنبرغ" شملت هذه الدراسة خمسة خبراء مهنيين، أسهمت آراؤهم العدائية والمتحيزة للإسلام في التأثير على الدوائر الفاعلة في الغرب، خلصت هذه الدراسة إلى «أن الفروق الظاهرة بين مناهج

¹ المصدر السابق، ص 190

² المصدر نفسه، ص 217

الفصل الرابع : تفكيك الخطاب الإستشراقي

هؤلاء الكتاب تغدو في النهاية أقل أهمية من إجماعهم الاستشراقي على طبيعة الاسلام دونية كامنة»¹.

«قامت فلسفة الاستشراق في كثير من الاحيان على الحقائق المحرفة والافكار الحاقدة والنوايا المضللة وعملت على التشويه والتزييف وهو ما يعترف به المنصفون من المستشرقين انفسهم على نحو ما وصفت به "كارين أمسترونغ" أفكار الغربيين بأنها فجة لاغية»²

وهذا يعني ان المعرفة الاستشراقية تخضع في نهاية المطاف إلى هيمنة رؤى وقيم ثابتة لا يقوى أي مستشرق على الافلات منها، مما يشكل عائقا أبستمولوجيا أمام تقدم المعرفة المتعلقة بالشرق.

2.1. الاستشراق الظاهر :

وهو الجانب المتغير والجانب البارز من المنطوق الاستشراقي، وفي أساليب القول والانشاء المعرفي، ويشمل أدبيات الاستشراق، ومختلف الآراء عن اللغات الشرقية آدابها وعمرانها ومجتمعاتها بمعنى أن «كل تغير في المعرفة بالشرق مهما كان نوعها، يحدث حصريا تقريبا في الاستشراق الظاهر»³ فعلى هذا الصعيد فقط يكون مسموحا للمستشرق الإفصاح عن قدراته الأدبية ومواهبه الفنية او في صياغة اكتشافاته وتجاربه ونظراته الثاقبة حول الشرق، وحتى السماح لبعض التنويعات المنهجية كما حدث في القرنين التاسع عشر والعشرين حيث أخضع الاستشراق للوضعية المنطقية والطوباوية والتاريخانية والامبريالية والفرو يديّة والماركسية دون أن تقدر هذه المهن المتفقة.

والفرق بين الاستشراق الكامن والاستشراق الظاهر يقودنا _حسب إدوارد سعيد_ على معاينة العلاقة بين الساكن في عمق اللاوعي الغربي عن الشرق، وأوصاف الشرقيين؛ أي بين تجذري التصور التاريخي الذي توارثته الأجيال وبين ما خلصت اليه تحليلات وتفسيرات المستشرقين خلال معاينتهم للشرق على أرض الواقع، مع سعيد ان سعيد يلجأ من حين الى الآخر إلى التخفيف من حدة هذا التمايز، بما رآه مثلا من تقاطع بين نمطي الاستشراق الظاهر والكامن بسبب توتر

¹ المصدر السابق، ص 220

² عبد الرحمان خرشى: فلسفة الاستشراق وأثرها في الصراع الحضاري، دط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع: الجزائر، 2013، ص202.

³ إدورد سعيد: الاستشراق، ص217.

الفصل الرابع : تفكيك الخطاب الاستشراقي

وتصادم مذهبيات الاستشراق الجامد مع ظاهر الشرق الحديث بل إن الشرق الجوهري تعرض أحيانا للنقض¹.

رغم ذلك بقي سعيد وفيا وبعناد لا يلين لأطروحاته الرامية إلى الكشف عن سكونية المعرفة الاستشراقية، التي بقيت في رأيه مستلبة في العمق وأسيرة.

وليس خافيا ان ادوارد سعيد في رؤيته للإستشراق الكامن على ما توصلت إليه إستقصاءات"ميشال فوكو" في كشفه عن اللاشعور البيوي الذي يتحكم في كافة اشكال الوعي المعرفي، ومن المهم التذكير هنا بما يقوله "فوكو" من ان «في كل ثقافة وفي أي فترة من فتراتها، لا توجد إلا إتسيمية واحدة، هي التي تحدد شروط إمكان اي معرفة سواء ظهرت في شكل نظرية ما، او استثمرت بصمت في ممارسة معينة»، وقد أثار القول بلاتاريخية المعرفة الاستشراقية وجنودها اتهاما لسعيد بأنه يعيد بنا اسطورة الطباع الثابتة؛ الراغمة بوجود طبيعة غربية جوهرائية اي بوجود عقل ذي خصائص ثابتة، الأمر الذي اعتبره "صادق جلال عظم" تماهيا في ميتافيزيقا الاستشراق، استدرجت سعيد إلى عكس النتيجة التي عمل على اثباتها، حيث يقول: «إن النتيجة المنطقية البعيدة لهذا الاتجاه في تفسير ظاهرة الاستشراق، هي العودة بنا من الباب الخلفي إلى أسطورة الطباع الثابتة، التي يريد سعيد تدميرها بخصائصه الجوهرية»².

لكن إدوارد سعيد كان يقصد أن هناك بنية مسبقة ومهيمنة عند المستشرقين ووصفه وصناعته، بغض النظر عن التحولات الفعلية والتاريخية التي يتعرض لها الشرق. وهكذا فإن المستشرقين يتناولون الشرق كبنية جوهرية غير قابلة للتبدل والتغير، إلا بما يضيفه ويحدده ويسمح به هؤلاء المستشرقون.

¹ المصدر السابق: ص ص 231، 232.

² صادق جلال العظم: ذهنية التحريم، ط3، دار الهدى للثقافة النشر: سوريا، 1977، ص 16.

الفصل الرابع : تفكيك الخطاب الاستشراقي

2. أزمة الاستشراق عند الغرب:

وقع اختيار سعيد في بحثه على خطبة "آرثر جيمس بلفور" التي ألقاها أمام مجلس العموم البريطاني، في 13 جوان 1910م؛ إختيار لم يكن اعتباطيا خصوصا وأن مكتبة الاستشراق وأرشيفها يزخران بتراث عريق من الخطب والمواعظ، مما يدل على أن بلفور يحتل فيه موقعا مميزا، لا من حيث التأثير الشخصي و الموقع السياسي الذي يحتله السياسي فحسب بل للتأثير الذي تركه في تاريخ العلاقات بين الغرب الاستعماري والشرق العربي و الاسلامي ، ولا نذيع سرا إذا قلنا انه أصبح لهذا الاسم - بلفور - ووعده المشؤوم، وقع خاص في وقع الشعوب العربية كما اصبح عنوانا لما يجري من مآسي وأحداث راهنة في الشرق الأوسط وسبب لنكبه، يدرك سعيد أكثر من أي شخص آخر أن انعكاساتها التراجيدية تكفي وحدها لمحاسبة سلوك "بلفور" السياسي على أرض الواقع، من هذا المنطق لا يخفي سعيد نيته الرامية للكشف عن الكامن وراء هذا السلوك السياسي المستخف والمستهزئ بشعوب المشرق العربي والاسلامي، لذلك شرع في التفكيك البنوي للمنطوق السياسي المتوحد في تبصرات الساسة بدءاً "بلفور" و "اللورد كرون" الى غاية "كسنجر" وعلى ارغم من تصريح سعيد في "مقدمة الاستشراق" بأنه لا يرغب في الدخول في سجل سياسي يتعارض مع مطلقاته الاكاديمية فقد وجد نفسه مضطرا لتعزيز فرضيته المتعلقة بوجود وشائج تشبه ما هو سياسي بثقافة الاستشراق في الغرب، ولهذا جاءت قراءة سعيد لنصوص "بلفور" مقتفية أثر اللغة المشبعة بتعابير القوة والاستعلاء الغربي على دونية الشرق وعجزه البنوي على حكم الذات على الرغم من تأكيدات "بلفور" المتكررة على أن « القضية ليست قضية فوقية أو دونية»¹ والمفارقة المثيرة للسخرية والاستغراب أن "بلفور" وهو يخاطب مجلس العموم البريطاني لا تخالجه فعلا قضية الفوقية أو الدونية، بل إن كل ما يشغله هو حتمية الاحتلال البريطاني لمصر والسيطرة عليها فلا يجد حرجا في صياغة خطبته السياسية بنبرة تسويغية - أو بالأحرى تسويقية- واثقة من نفسها ومن تفوقها قائلا : «فنحن نعرف حضارة مصر أكثر مما نعرف حضارة بلد آخر نعرفها

¹ إدوارد سعيد: الاستشراق، ص 65.

الفصل الرابع : تفكيك الخطاب الاستشراقي

في أغوار التاريخ؛ ونعرفها معرفة صميمية حميمة، ونعرف عنها أكثر مما نعرف عن حضارة أي بلد آخر»¹.

وهذا يعني أن أوربا عندما تملك معرفة كهذه لموضوع كهذا هو ضرورة أن تسيطر عليه، وأن تملك الحق والقدرة على كحمة وإدارة شؤونه، ومبرر ذلك في منطق "بلفور" «أن الأمم الغربية فور انبثاقها في التاريخ تظهر تباشير القدرة على الحكم الذات ... لأنها تمتلك مزايا خاصة بها... غير أن في دورات القدر والمجر لا ترى أمة واحدة من هذه الأمم الشرقية، تؤسس بدافع حركتها الذاتية»² وعلى الرغم مما في هذا الكلام من بعض الحقيقة إلا أن هذه الحقيقة تشوهنا بمنطلقات "بلفور" الأيديولوجية الفاضحة في افتراءاتها، وطمسها المبيت لسيرورة التاريخ الشرقي، ولا يبدو هذا السلوك البلفوري مفاجئا لسعيد، لانسجامه مع فرضية حول الاستشراق السياسي سواء أصدر من "كرومر" أو من غيره لأن المقال السياسي ذا الطبعة البراغماتية يتغذى أصلا من طبقات المعرفة الاستشراقية الذي لا يأبه بالحقائق التاريخية بقدر ما يعنيه إنجاح خططه العملية الرامية لإخضاع الآخر والسيطرة عليه.

ويلخص لنا سعيد المنطق البلفوري الشيق الذي أسند عليه معطياته عن الام الشرقية منطقا يظهر تماسكا وانسجاما سوريا من حيث الربط بين المقدمات والنتائج، بغض النظر عن المضمون الذي حملة هذا الاستنتاج «فإنجلترا تعرف مصر ولا يمكن أن يكون لها حكم ذاتي، وإنجلترا توثق ذلك باحتلال مصر»³ إن واقع المجتمعات الشرقية _العربية والاسلامية خاصة_ متردي بلا أدنى شك مما ساعد على تأكيد استنتاجات "بلفور" «منطق أرسطي متهافت لا يخفي عمقه على بلفور نفسه، وما آل إليه هذا المنطق لا صوري بعد التبصيرات الديكارتية وتحولات المنطق الاستقرائي في الغرب ما بعد "فرنسيس بيكون" و"جون لوك" و"استوارت ميل"، والواقع أن مقدره "بلفور"، والغرب بصفة عامة

¹ المصدر السابق، ص 64.

² المصدر نفسه، ص 64.

³ المصدر نفسه، ص 65.

الفصل الرابع : تفكيك الخطاب الإستشراقي

« تكمن في امتلاكه معرفة كاملة بالحضارة المصرية ،أصولها الاولى؛ ذروتها؛ ثم انحطاطها، تعني في الحقيقة القدرة على القيام بهذا المسح المعرفي الشامل إذ المعرفة تمنحها السلطة، والسلطة عند بلفور تعني أن ننكر نحن الاستقلالية عليه _ على البلد الشرقي _ ما دمنا نحن نعرفه، ومادام هو قائما بالمعنى الذي نعرفه.»¹

تبدو هنا معادلة "ميشال فوكو" الأركيولوجية : المعرفة والسلطة حاضرة بوضوح في تحليلات ادرد سعيد النقدية وفي قراءته للأرشيف الاستشراق من خلال احالاته -المتكررة-لمؤلفات فوكو مستعير أدواته المنهجية في سياق استنطاقه لنصوص بلفور، وفي سعيه الكشف عن المظور خلف كلمة "المعرفة" المشبعة بقوة السلطة يعود الى أن هناك تمحور دائما ومتبادلا بين المعرفة والسلطة في شكل علاقة جدلية، فالتكرار اللافت لهذه الكلمة معرفة في المقال البلفوري، لها دلالاتها السلطوية، فهي لا توهم ببراءة مقولاتها الاستشراقية وتجردها فحسب بل تمنحها القدرة أيضا على اخفاء نوايا الهيمنة وفرض الوصاية على الآخر وإقصاء كل ما من شأنه أن يعرقل انجاح هذه المشاريع من قبل الوعي الغربي الذي يوجه اليه بلفور خطابه، وعليه فان التمظهر بزي الاستنتاجات العلمية المحض معرفة، يتجنب قائلها -بلفور- أية شبهة ميكيافليا أو محاكمة سياسية خاصة وأن بلفور ليس مجرد شخصية عادية بل هو ينطق باسم الغرب والعالم المتحضر كله، كما أن مصر تكن مجرد مستعمرة أخرى، بل هي مثال للتخلف الشرقي والتسويق البراغماتي للاستعمار الغربي، هذا ما يطبع خطبة بلفور بطابع السلطة والقوة الموجهة أصلا لإقناع الجمهور الأوروبي لا للجمهور الشرقي لأن الشرقيين يتكلمون بلغة أخرى ومع ذلك فبلفور يعرف كيف يشعرون

¹ المصدر السابق، ص 64.

الفصل الرابع : تفكيك الخطاب الاستشراقي

ويعرف توقعاتهم ومصائرهم "كأنهم عرقا محكوم يسيطر عليه عرق آخر يعرفهم ويعرف ما هو خير لهم بأفضل مما يكن لهم أن يعرفوا بأنفسهم"¹.

وهكذا تؤكد وجهة المقال السياسي ومضمونه دليلا آخر على صحة فرضية سعيد حول البداهة الاستشراقية التي جذرت التفوق الغربي والتي تسقط الشرقي دوما من الحساب لتبرير الهيمنة وفرض الوصاية عليه، والجدير بالذكر أن الجديد فيما قاله بلفور لا يتعدى المجاهرة بإحساس الغلب تقرير مصير المغلوب وتمثيله، إحساس قد تستحي النصوص الثقافية من اعلانه جهارا نهارا، فممكناات السياسة لا تجد حرجا في استجداء جمهورها واقناعه بضرورة الاستعمار، لما فيه من منافع لأوروبا وصالح الأمم-الشرقية-التي تعجز عن حكم ذاتها. حيث يقول بلفور في هذا السياق:

«أن نقوم نحن بممارسة هذا النمط من هذا الحكم المطلق،

في ضني أن ذلك خير... وأنها ليست مصدر لهم فقط، بل هي

من دون شك مصدر نفع للغربي المتحضر بأكمله... نحن في

مصر ليس من أجل المصريين فحسب مع أننا فيها من أجلها؛

نحن هناك من أجل أوروبا كلها»².

وبغض النظر عما في هذا الكلام عن مقاصد سياسة واضحة نجد من المفيد التفكير بكيفية التعاطي ساسة الغرب مع مواطنيهم وقضايا أوطانهم، بطريقة جدُّ مقدمة ومغايرة تماما للكيفية التي يعامل بها الساسة مواطنيهم عندنا طريقة لم يشر سعيد بوضوح لاعتباراتها الإيجابية بالنسبة لسياسة الغرب الداخلية القائمة على المواطنة كمصدر للسلطة والسيادة، مما يجعل الحاكم في الغرب ملزما بتبرير ما يراه نافعا لأمتة، حتى ولو كان الأمر لا يبرر. إن لهذا السلوك الديمقراطي عدة اعتبارات أهمها في نظرنا انبثاق الوعي التحرري في الغرب، الذي لم يعد يقبل تسلطا تجرع مرارته وعانى من ويلاتة أكثر من مرة، أما الشرقيون فهم لا يسقطون ويتجاهلون من قبل الغرب فحسب بل الأكثر

¹ المصدر السابق، ص60.

² المصدر نفسه، ص65.

الفصل الرابع : تفكيك الخطاب الإستشراقي

تراجيدية أن إرادة هذه الشعوب بقيت مصادرةً حتى بعد انقشاع الاستعمار عنها، من طرف أنظمتها التي قادت في أغلب الأحيان ثورات تحررها.

وبعيدا عن أفاعيل السياسة وأطماعها التي تتغذى من المخزون الاستشراقي نود أن التنبيه إلى أن تركيز إدوارد سعيد الذي انصب على تقوية افتراضه المتعلق بقوة المقال الغربي-القوي بدون شك-على شرقه الضعيف قد فاق قوة المقال الغربي نفسه، وكأن سعيد يتترس خلف ضعف شرقه لمجاهة قوة الغرب الاستشراقي. هذا الجهد يبدو أنه طغى أو بالأحرى قضى على أية محاولة للكشف عن الأسباب الذاتية التي كرسّت العلاقة غير المتكافئة بين شرق ضعيف جوهريا وغرب قوي أبديا. وبغض النظر عن صحة أو خطأ النظرية المؤامراتية، يحسن بنا الاعتراف ببداية عن تردّي واقعنا الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي، فالأهم من ذلك أن يسهم في استمرار وتعميق هذا التردّي هو تجاهل أسبابه الذاتية الكامنة في وعي ولا وعي مجتمعاتنا العربية والاسلامية وخلاصة تتبع الناقد "إدوارد سعيد" للنصوص السياسية التي قيلت أو كتبت عن الشرق والشرقيين، أن هناك تماهيا بين السياسة والاستشراق، مؤكداً أن المقال الاستشراقي يمتلك من القوة ما لا يقوى أي نوع آخر من الإنشاءات على مقاومته. فالاستشراق الخاضع لضوابط السياسة كما أسلفنا الذكر هو من جهة أخرى متورط في التنظير ورسم سياسات الغرب الاستعماري ذلك أنه في اعتقادنا كما يقول إدوارد سعيد «أنا سنكون على خطأ إذا قللنا من أهمية مخزون المعرفة الموثقة، وتقنيات السنة الاستشراقية، التي يشير إليه "كروم" و"بلفور" في كل مكان من كتاباتهما وسياساتهما الرسمية»¹. فالاستشراق هو من زود سياسيا الغرب من "كروم" و"بلفور" إلى غاية "كيسنجر" بترسانة من المفاهيم والمقولات المنمطة بل هو أكثر من ذلك إذ مثل الاستشراق لهؤلاء ولغيرهم المصدر والسند لما يمكن أن يقوله عن الشرق. بدليل أن "كروم" كان «من حين لآخر يشير إلى أعمال مستشرقين ثقات أرثوذكسيين وبشكل خاص "أرنست رينان"، و"كونستنتان

¹ المصدر السابق، ص70.

الفصل الرابع : تفكيك الخطاب الإستشراقي

دوفولني" تأييدا لآرائه، وهو أيضا يحيل إلى هؤلاء الباحثين حين يصل به الأمر إلى محاولة شرح الأسباب كون الشرقيين كما هم».¹

وهكذا قادت حفريات سعيد وتنقيباته في أرشيف المكتوب الاستشراقي إلى استنتاجات أهمها: أن الرؤية الاستشراقية هي التي أبقت الشرق كما هو في خيال الشعراء والروائيين وخلاصات السياسة والأكاديميين وتأملات الفلاسفة، فقد خضع الاستشراق لضوابط سياسية قوية يستحيل معها تمييز المعرفة الاستشراقية الخالصة عن الأطماع السياسية. لقد «خضع حتى أكثر الكتاب روعة الخيال، مثل فلوبيير و نرفال و سكوت، لضوابط مقيدة لما يمكن أن يجربوه أو يقولوه عن الشرق، إذ أن الاستشراق كان في نهاية المطاف إلى رؤية سياسية للواقع».²

ولم يصمد أمام هذه الرؤية وسلطتها التي فرضها الاستشراق الكامن حتى أكثر الفلاسفة استنارة وتحررية مثل: «جون ستيوارت مل" أو «كارل ماركس"، فما عسى المرء أن يقول عندما يتنكر "مل" لتنظيراته الليبرالية التحررية أو حينما تحتفي تقدمية"ماركس"وتعاطفه الإنساني مع بؤس واضطهاد الشعوب الهندية إلا أن يقول كما قال سعيد بأن الاستشراق هو ممارسة سياسية بامتياز.³

يلاحظ إدوارد سعيد أن الاستشراق وقع في أزمة فبداً من عشرينيات القرن الحلي حتى إعلان مؤتمر باندونغ عام 1955 م كان الشرق بأكمله قد تمكن من الحصول إلى على استقلاله السياسي عن الامبراطوريات الفرنسية والانجليزية وبدأ يجابه تجسيدا آخر للقوى الإمبريالية المتمثلة في الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي وهنا وجد الاستشراق نفسه عاجزا عن تمييز «شرقه" في العالم الثالث الجديد، ويواجه شرقا جديدا مسلحا وسياسيا.

¹ المصدر السابق، ص 70.

² المصدر نفسه، ص 70.

³ المصدر نفسه ص 71.

الفصل الرابع : تفكيك الخطاب الاستشراقي

وانفتح أمام الاستشراق بديلان: الأول حول الاستمرار كما لو أن شيئا لم يحدث والثاني هو أقلمة الطرق القديمة، لتلائم الشرق الجديد. غير أن الجديد نفسه بالنسبة للمستشرق الذي يؤمن بأن الشرق لا يتغير أبدا؛ هو القديم وقد خانه الشرقيون الجدد الذين أساءوا الفهم.¹

أما البديل الثالث التنقيحي: وهو التخلص من الاستشراق دفعة واحدة ويستشهد إدوارد "بأنور عبد الملك" الذي رأى في مقاله الشهيرة "الاستشراق في أزمة" أحد المؤشرات اللازمة التي وقع فيه الاستشراق لم يكن ببساطة "حركات التحرير الوطني" في الشرق الذي كان مستعمرا قد عصفت بتصورات المستشرقين عن شعوب محكومة سلبية، بل كان ثمة إضافة إلى ذلك حقيقة أن المختصمين والجمهور الواسع أصبحوا على وعي للمسألة الزمنية الفاصلة لا بين علم الاستشراق والمادة موضوع الدراسة فحسب، بل كذلك - وكان هذا العامل حاسما - بين التصورات والمناهج وأدوات العمل في العلوم الإنسانية والاجتماعية وتلك التي استخدمها المستشرقون.²

وللخروج من هذه الأزمة وكبديل عن المستشرق التقليدي وتصوراته ومناهجه وأدواته القاصرة، يأتي المستشرق الإنجليزي «تش أي آجب» عام 1940م، ويقترح وهو بصفته مديرا لمركز دراسات الشرق الأوسط في هادفر وكان لموضوعه الذي اقترحه "الدراسات الإقليمية إعادة تقويم" أن يكون المستشرق إضافة إلى طبيعته التقليدية عالم اجتماع متمرس ذلك أنه ينبغي أن نتعلم عنهم من أجل أن نعمل معهم في إطار علاقة أقرب إلى معطيات التبادلية، فلم يعد بوسعنا الآن أن نعلم على عامل الامتياز الذي بدا أنه أثر تأثيرا كبيرا في تفكير ما قبل الحرب.³

وبرأي "جب" ينبغي للمستشرق أن يكون دليل صانعي السياسة ورجال الأعمال وجيل جديد من الدارسين كما أن الدراسات الشرقية ينبغي أن تعين لا بوصف نشاطات بحثية بقدر ماهي أدوات للسياسة القومية إزاء الأمم حديثة الاستقلال التي قد تكون صعبة المراس في عالم ما بعد الاستعمار. وتطغى هذه الآراء المعاصرة للمستشرقين المحدثين على الصحافة والعقل الشعبي الغربي، فالعرب مثلا يصورون على أنهم راكبي جمال إرهابيين معقوفي الأنوف شهوانيين شرهين تمثل ثرواتهم

¹ المصدر السابق ص 71.

² المصدر نفسه ص 71.

³ المصدر نفسه ص 72.

الفصل الرابع : تفكيك الخطاب الاستشراقي

المستحقة إهانة للحضارة الحقيقية، وثمة دائما افتراض متربص بأن المستهلك الغربي - رغم كونه ينتمي إلى أقلية عددية-ذو حق شرعي في امتلاك معظم الموارد الطبيعية في العالم، أو في استهلاكها.¹

وفي الإلام المعاصر أصبحت الصورة النمطية القديمة المصطنعة عن الشرق أكثر توسعا عبر الإعلام، ومن الأمثلة على ذلك هوليوود التي تظهر العرب على أنهم أشرار دائما، حيث يقول "جاك شاهين"

«شاهدت أكثر من ألف فلم؛ أفلام من أيام هوليوود الأولى حتى أهم الأفلام الحديثة... صورة نمطية متتابعة وخطيرة عن العرب المثيرين للبغض، وهي صورة نمطية تسرق الإنسانية من شعب بكامله؛ كل أشكال ثقافتنا تظهر العرب كأشرار».²

هنا يعترف جاك شاهين كشاهد من أهلها بإهانة الغرب للشعوب الشرقية بشكل غير مباشر، عبر مثل هذا يوظف سعيد معلومه أن الاستشراق هو عبارة عن أسلوب غربي للسيطرة على الشرق وامتلاك السيادة عليه، ورسم صورة له مزيفة حتى الشرقي يصعب عليه كشف مضموراتها.

¹ المصدر السابق ص 73.

² شريط وثائقي: كيف تحط هوليوود من قدر الشعوب.العرب الأشرار، الجزيرة الوثائقية.(2016/01/29/16:03)، www.vimeo.com .

الفصل الرابع : تفكيك الخطاب الاستشراقي

خلاصة :

لقد تمكن إدوارد سعيد بناءً على مفهوم الخطاب وقراءة النص، من أن يكشف الاستشراق بوصف المعرفة بالشرق التي أنتجت سلطة. برأيه هي التي قادت أوروبا إلى إستعمار الشرق والمهيمنة عليه والتحكم به، كما يمكننا القول أن صدى الخطاب الاستشراقي قد خلف وقعا هائلاً في المجتمع والفكر الأوروبي بالأخص، بكونه تجسيدا سلبيا للجهل بالإسلام أو المعرفة السطحية به، ما ساهم في توليد ما يعرف اليوم بـ "الإسلاموفوبيا" على المستويين الشعبي والرسمي، وكان له أيما الأثر في رسم سياسات الدول الغربية تجاه الإسلام والمسلمين والعرب بشكل عام، حتى أن تلك الحكومات ظلت تراجع نتائج الاستشراق وأحكامه في تعاملاتها مع الأمم والبلدان الشرقية.

خاتمة

وختاما لبحثا وكحوصلة لما سبق ذكره يمكن أن نستخلص النتائج التالية:

- تجربة المنفى والسفر الدائمين هو ما جعل إدوارد سعيد يفتح على العالم ككل وعلى الإنسانية جمعاء، رافضا كل صور وأشكال الانغلاق والدوغماتية العمياء وكل ادعاءات الصفاء والنقاء العرقي أو الثقافي.
- إدوارد سعيد لم يكن معنيا كثيرا بتعداد الأدلة التاريخية على فساد المقولات الاستشراقية أو تنفيذ نظرياته العرقية، بل كان تركيزه منصبا على تفكيك أجهزتها التي ركبت منها، ليعيد النظر فيها ويكشف عن الوجه الآخر للإستشراق، بوصفه المؤسسة المشتركة في التعامل مع الشرق لإصدار تقارير حوله وإجازة الآراء فيه، وإقرارها بوصفه وتدليسه، والاستقرار فيه، وحكمه.
- يرى إدوار سعيد أن تلك العلاقة بين الشرق والغرب يجب أن تدرس بوصفها علاقة قوة وهيمنة بدليل أن الغرب هو الذي حدّد و فصلّ ومايز بين بنيتين تم تعريفهما على أنهما شرق وغرب.
- اهتم إدوارد سعيد بفهم وتحليل خطاب الاستشراقي ذاته، كبنية منغلقة مكتفية ومسلحة بعناصر القوة الإمبريالية التي تستمد منها استمراريتها وبقاءها في الشرق.
- توصل إدوارد سعيد إلى أن الحاج والرحالة الذي يرحل إلى الشرق لإرضاء رغبته و الذي يبني نصه على جماليات شخصية، هو ما جعل الشرق شبه اختراع أوروبي، ومجرد خيال متوهم لشخص أبحره سحر الشرق.
- انتقد إدوارد سعيد العديد من أصحاب التخصصات والأنشطة التي تدخل تحت مظلة النشاط الواسع والعريض عن الاستشراق، الذين يبنون أعمالهم وأنشطتهم على التمييز المسبق بين ما هو شرقي وما هو غربي.
- أكد إدوارد سعيد بلا تاريخية الرؤيا الاستشراقية التي أبقّت الشرق شرقا والغرب غربا موضحا ذلك بأن الذين كتبوا عن الشرق على اختلاف أزمتهم وتنوع مشاربهم لم تكن بينهم فواصل، بل مجرد فروق ظاهرة؛ فروق في الشكل والأسلوب.

- استنتج إدوارد سعيد أن بنية المعرفة الاستشراقية تنفرع إلى نوعين الأولى تخضع إلى هيمنة رؤى وقيم ثابت لا يقوى أي مستشرق على الإفلات منها، مما يشكل عائقا بتسمولوجيا أمام المعرفة المتعلقة بالشرق وهذا ما يعرفه إدوارد سعيد بالاستشراق الكامن. والثاني يمكن أن يطرأ عليه تغير مهما كان نوعها ويكون فيها مسموحا للمستشرق الإفصاح عن قراراته الأدبية ومواهبه الفنية أو صياغة اكتشافاته وتجاربه ونظراته الثاقبة حول الشرق مما يعرض الشرق للنقض، وهذا ما يعرفه إدوارد سعيد بالاستشراق الظاهر.
 - استعار إدوارد سعيد الأدوات المنهجية للتعرف على بنية الاستشراق من استقصاءات ميشال فوكو في كشفه عن اللاشعور البنيوي الذي يتحكم في كافة أشكال الوعي المعرفي.
 - اختار إدوارد سعيد بعض النصوص السياسية ليس من أجل الدخول في سجل سياسي يتعارض مع منطلقاته الأكاديمية، بل من أجل تعزيز فرضيته المتعلقة بوجود وشائج تشبه ما هو سياسي بالثقافة الاستشراقية في الغرب متقنياً أثر اللغة المشبعة بتعابير القوة والاستعلاء على دونية الشرق وعجزه عن حكم ذاته.
 - أكد إدوارد سعيد أن المقال السياسي ذو الطبيعة البراغماتية يتغذى أصلا من طبقات المعرفة الاستشراقية والذي لا يأبه بالحقائق التاريخية بقدر ما يعنيه إنجاح خططه العلمية الرامية لإخضاعه الآخر والسيطرة عليه.
 - لاحظ إدوارد سعيد أن الاستشراق وقع في أزمة وذلك بعد أن حصل الشرق على استقلاله حيث وجد نفسه عاجزا على تمييز شرقه في العالم الثالث
 - اعتبر إدوارد سعيد الاستشراق ما هو إلا أسلوب غربي للسيطرة على الشرق وإرادة الهيمنة عليه.
- ونأمل في خاتمة هذا البحث المتواضع أن نكون قد وفقنا في إضاءة بعض الجوانب الفكرية لهذه الشخصية الثرية بمواقفها الفكرية والنقدية.



قائمة المصادر

والمراجع



المصادر:

- 1) القرآن الكريم.
- 2) سعيد إدوارد: تعقيبات على الاستشراق، ترجمة صبحي حديدي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: بيروت، 1996.
- 3) سعيد إدوارد: القضية الفلسطينية والمجتمع الأمريكي، ترجمة الدراسات الفلسطينية، ط1: بيروت، 1980.
- 4) سعيد إدوارد: العالم، النص، الناقد، ترجمة عبد الكريم محفوظ، دط، إتحاد الكتاب العربي: دمشق، 2000.
- 5) سعيد إدوارد: خارج المكان، ترجمة فواز طرابلسي، ط1، دار الأدب: بيروت، 2000.
- 6) سعيد إدوارد: فرويد وغير الأوروبيين، ط1، دار الأدب: بيروت، 2004.
- 7) سعيد إدوارد: الثقافة والإمبريالية، ترجمة كمال أبوديب، ط3، دار الأدب: بيروت، 2004.
- 8) سعيد إدوارد: تغطية الإسلام، ترجمة محمد عناني، دط، رؤية للنشر والتوزيع: القاهرة، 2006.
- 9) سعيد إدوارد: الاستشراق، ترجمة كمال أبوديب، ط7، مؤسسة الأبحاث العربية: بيروت، 2005.
- 10) سعيد إدوارد: السلطة. السياسة. الثقافة، ترجمة نائلة قليلة حجازي، ط1، دار الأدب: بيروت، 2008.

11. المراجع:

- 1) ابراهيم بن طيب: الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، دط، دار المنابع للنشر والتوزيع: الجزائر، 2004.
- 2) الأمين عبد الله: الاستشراق في السيرة النبوية، دط، المعهد الاسلامي: القاهرة، 1997.
- 3) بغورة زواوي: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو، دط، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية: القاهرة، 2000.
- 4) الحاج سالم ساسي: نقد الخطاب الاستشراقي، ط1، دار المدار الاسلامي: بيروت، 2002.
- 5) حنبكة الميداني بن عبد الرحمان: أجنحة المكر الثلاث، ط8، دار القلم: دمشق، 2000.
- 6) خرشي عبد الرحمان: فلسفة الاستشراق وأثرها في الصراع الحضاري، دط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع: الجزائر، 2013.
- 7) زقزوق حمدي محمود: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دط، دار المعارف: القاهرة، 1997.
- 8) شاهين محمد: إدوارد سعيد أسفار في عالم الثقافة، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: بيروت، 2007.
- 9) شاهين محمد: إدوارد سعيد رواية للأجيال، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: بيروت، 2005.
- 10) شاهين محمد: إدوارد سعيد مقالات وحوارات، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: بيروت، 2004.
- 11) صالح فخري: إدوارد سعيد دراسات وترجمات، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون: بيروت، 2003.

- 12) صالح موسى بشرى: نظرية التلقي أصول وتطبيقات، ط1، المركز الثقافي العربي: المغرب، 2001.
- 13) فوزي عمر فاروق: الاستشراق والتاريخ الاسلامي، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع: عمان، 1998.
- 14) فوكو ميشال: حفریات المعرفة، ترجمة سالم يفوت، دط، الدار البيضاء، 1968.
- 15) متوكل أحمد: الخطاب وخصائص اللغة. دراسة في الوظيفة والنمط، ط1، دار العربية للعلوم ناشرون: بيروت، 2010.
- 16) المسكيني فتحي: الفيلسوف والإمبراطورية في تنوير الإنسان الأخير، دط، إتحاد كتاب العرب: دمشق، 2009.
- 17) المسيري عبد الوهاب: رحلتي الفكرية، ط1، دار الشروق للطباعة والنشر: القاهرة، 2005.
- 18) واليا شيلي: صدام مابعد الحداثة إدوارد سعيد وتدوين التاريخ، ترجمة عفاف عبد المعطي، ط1، دار رؤية: القاهرة، 2006.
- المعاجم والقواميس والموسوعات:
- 1) لالاند أندري: موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل وأحمد عويدات، دط، منشورات عويدات: بيروت، 2001.
- 2) محمد السعيد أبو هاجر: موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف، دط، المجلد7، دار الكتب العلمية: بيروت، د.ت.
- 3) المعجم الوسيط: ط4، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 2004.
- 4) منظور: لسان العرب، دط، دار بيروت للنشر والتوزيع، 1968.

الرسائل والأطروحات الجامعية.

1) شناف صبرينة: النقد الحضاري في فكر إدوارد سعيد. أصوله وتطبيقاته، (مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية والاسلامية، جامعة الحاج لخضر): باتنة، 2013.

2) محمد الرجي محمود أحمد: إتجاهات الخطاب الإسلامي في المواقع الإلكترونية والإخبارية، (رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الشرق الأوسط، كلية الإعلام): 2012، ص31.

3) نعيمة بن خدة: المثقف والسلطة عند إدوارد سعيد، (مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة): وهران، 2012.

المجلات والجرائد:

1) مجلة الراقد، دار الثقافة والإعلام: الشارقة، 2009.

2) مجلة المستقبل العربي الإلكترونية، مركز دراسات الوحدة العربية، 2016.

الوثائق والدوريات:

1) شريط وثائقي: كيف تحط هوليوود من قدر الشعوب-العرب الأشرار، قناة الجزيرة الوثائقية.

2) كوف دونلب: شبح الغرب، فلم من كتابة ورواية إدوارد سعيد، ترجمة أحمد فيصل.